الإمام

محمد متولي الشعراوي



الكبائر

دار الندوة

بسم الله الرحمن الرحيم

© دار الندوة للنشر

المركز الرئيسى : ٢٣ ش الميناء الشرقية محطة الرمل (عمارة الاستعلامات)
الدور الأول شقة ٦ اسكندرية
ت ٨١٤٧١٨ اسكندرية . ص. ب.(٦٩) اسكندرية

مكتب القاهرة : ش محمد فريد أمام الشرطة العسكرية ، ١١ ح الحكر
عابدين ت ٣٥٥٧٥٦١

الإمام
محمد متولي الشعراوي

تعريف الكبائر من القرآن الكريم

هيئة التحرير

خرّجَ الأحاديث	المراجعه اللغوية	جمع المادة
د. محمد أحمد السعودى	محمد محمود إسماعيل	منشاوى غانم جابر
	رمضان جميل برغش	

دار الندوة

تقـديـم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى صحبه أجمعين .. أما بعد .

إمامنا وشيخنا الجليل محمد متولى الشعراوى ، فى منهجه للدعوة الإسلامية يسلك منهجًا متفردًا ، غايته إصلاح حال الناس فى الدنيا والآخره بأسلوب واقعى يتناسب مع عقول الناس فى حديث سلس عذب الكلمات ، سهل ميسر دون تعقيد أو غموض أو تفلسف .. فأقبل إليه الناس بعقول صاغية لتستوعب الدرس والموعظة الحسنة ، إنه قائد الطريق إلى الله .. طريق النور والهداية والفلاح فى الدنيا والآخرة .

شيخنا الإمام محمد متولى الشعراوى فى لقائه بنا دائمًا نتلقى منه الفيوضات الربانيه عليه ، فى نفحات إيمانية ليستخرج الأسرار والكنوز من معانى القرآن الكريم ، فهى الدرر التى تتلألأ فى قلوبنا لنعى وندرك أنها المنهج المستقيم حتى تقوم الساعة وذلك لخير كل العباد .

عِلْمُ إمامنا لايجوز ولا يحق أن يترك هكذا بدون أن يسجل ، إنه بَلَّغَ وهذا يكفيه، ولكنه يجب أن يسجل ويُدوَّن .. فهذه مسئوليتنا للمحافظة على هذا الجهد لخير الأجيال القادمة نحو تقديم هذا الْعِلْمُ للناس فى تصانيف ، لتكون المرجع والدليل ، وذلك تطبيقًا لقول رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف.. « إذا مات إبن آدم إنقطع عمله إلا من ثلاث ، علم يُنْتَفَعُ به ، وصدقة جارية ، وولد صالح يدعو له » ..

ومن هذا المنطلق كان لنا أن نسلك أسلوبًا يحقق للناس أن يكون لديهم مُدَوَّنَةُ فكر ، ومنهج دعوة مُرتَّبةٌ ومُبَوَّبَةٌ ، فى موضوعات تهدى ضلالة الحائرين،

فهذه بداية نبدؤها بهذا الموضوع الفريد عن .. « تعريف الكبائر من كتاب الله».

والحق سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم .. ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾(1) .. وذلك يقتضى تذكرة الناس بأن فى إجتناب الكبائر ما يكون وسيلة للعبد الصالح فى أن يجد مُدْخلا كريماً فى دار البقاء والخلود ، فقد قال رسول الله ﷺ أيضًا .. « إجتنبوا السبع الموبِقات؟.. قالوا : وما هن يا رسول الله ، قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرّمها الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتَّولِّى يوم الزحف ، وقذْف المُحصنَات الغافلات »

والإمام محمد متولى الشعراوى قد تناول هذا الموضوع بجلاء ووضوح مما يجعلنا نحن المحبين له أن نّهرع إلى تقديمه إليكم فى عرض يتناسب إخراجه مع عظمة مادته ، لنا نحن المسلمين جميعًا ، فللإمام محمد متولى الشعراوى ، خالص الدعوات ، قصدنا له عظيم الجزاء والثواب من الله رب الْعُبَّادَ على ما قدمه لخير الْعِبَّادَ .. يا رب العالمين .

الناشر

(1) من الآية 31: سورة النساء .

تعـــريـف

حينما أراد العلماء أن يُعرِّفوا الكبيـرة[1] قالوا : إنها ما جاء فيها وعيد مـن الله بعـذاب الله فى الآخـرة ، أو جـاء فيهـا عقوبـة - كالحـد مثلا - فتعـد هـذه هى الكبيرة. أما مالـم يجىء فيها وعيد بعذاب ، أو إقامة حـد ، فهى تدخـل فى عـداد السيئة المذكورة بالكبيرة أو الصغيرة أو الأصغر .. وجزى الله عنا آل البيت خيـرًا، فها هو عمرو بن عبيد[2] وهو عالم من علماء البصرة ، وزاهد من زهادهـا الـذى قال فيه أحد الخلفاء: (كلهم طـالب صيـد غيـر عمـرو بـن عبيـد) ، ويحكى أنـه من العلماء من كان يذهب إلى الخليفة ليأخذ بعضًـا مـن عطايـاه وهباتـه إلا عمـرو بن عبيد . هذا العالـم الجليـل عمـرو بـن عبيـد ، أحب أن يَعَـرِفُ مدلـول الكبيـرة مـن نص القـرآن لا بشرح العلمـاء ، وتساءل بينـه وبيـن نفسه : لمـن أذهب ؟ .. وقالوا دخـل عمـرو بـن عبيـد البصرى على سيدنـا أبى عبـد الله جعفـر بـن محمـد الصادق وهو أولى الناس بأن يُسْأل.. فهـو عالـم مـن آل بيت رسـول الله ﷺ الذى فتَّش فى كنوز القرآن ، وإستخرج منها الأسرار، وعاش فى رحـاب الفَيْض .. هـذا هو الذى ذهب إليه عمرو بـن عبيـد ليسألـه، فلمـا جلس قـرأ قـول الحـق سبحانـه وتعـالى .. ﴿ الـذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ ﴾[3] .. هنا قال أبو عبد الله جعفر الصادق : ما أسكتك يـا عمـرو ، قـال عمـرو: أحب أن أعـرف

---

(١) الكبيرة هى : كل معصية فيها حد فى الدنيا ، أو وعيد فى الآخره ، أو ورد فيهـا وعيـد بنفى الإيمـان، أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا ، وقـال ترجمـان القـرآن عبـد الله بـن عبـاس رضى الله عنـه : لاكبيـرة مـع إستغفار ، ولاصغيره مـع إصرار .

(٢) عمرو بن عبيد أبو عثمان البصرى المعتزلى القـدرى .. كـان مـن أهـل الـورع والعبـادة إلى أن حـدث له ما حدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعته فسُمُّوا المعتزلة . إخْتُلِف فيـه ذمـًا ومدحـًا وكـذلك رأى علماء الحديث فيه بأنه ضعيف ولـه أحـاديث منهـا بسنـده عـن الحسن قـال : قـال رسـول الله ﷺ (لا تسبـوا مُضَـر وربيعـة فإنهمـا قـد أسلمـا) ذكـر الخَطيب البغـدادى فى تاريخـه (١٨٦-١٢) أن عمرو بن عبيد مـات بطريق مكه سنـه ١٤٣هـ (إنظـر أنسـاب الأشـراف للبـلاذرى جـ١ ص (٣)، تهذيب التهذيب ، ميزان الإعتـدال فى نقـد الرجـال للـذهبى جـ٤ ، ص ١٩٣) .

(٣) من الآيـة ٣٢ : سـورة النجـم .

الكبائر من كتاب الله ؟ .. ولتنظر إلى الثقة من معرفته كنوز القرآن ، وهنا قال جعفر الصادق : نعم يا عمرو أىْ خبيرًا بها سألت - أى جئت لمن يعرفها - ثم قال جعفر الصادق ..

الكبيرة الأولى : الشرك بالله .. ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١) .. ثم جاء بجزء من آية أخرى ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾(٢)

الكبيرة الثانية : اليأس من روح الله .. ﴿ إِنَّهُ لاَيَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ ﴾(٣)

الكبيرة الثالثة : أمن مكر الله .. ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٤)

الكبيرة الرابعة : عقوق الوالدين ، والله وصف صاحبها بأنه جبار وشقى فقد قال الله .. ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾(٥)

الكبيرة الخامسة : قتل النفس .. ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾(٦)

الكبيرة السادسة : قذف المحصنات الغافلات من المؤمنات .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُواْ فِى

---

(١) من الآية ٤٨ : سورة النساء .
(٢) من الآية ٧٢ : سورة المائدة .
(٣) من الآية ٨٨ : سورة يوسف
(٤) من الآية ٩٩ : سورة الأعراف
(٥) من الآية ٣٢ : سورة مريم .
(٦) من الآية ٩٣ : سورة النساء

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]

الكبيرة السابعة : أكل الربا .. ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِ ﴾[2]

الكبيرة الثامنة : الفرار يوم الزحف .. أى عندما يرى فرد من المسلمين مهاجمين من الأعداء فيفر هو من مواجهة الأعداء .. ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَه إلا مُتَحَرِفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[3]

الكبيرة التاسعة : أكل مال اليتيم .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[4]

الكبيرة العاشرة : الزنا .. ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يضاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[5]

الكبيرة الحادية عشرة : شهادة الزور وكتم الشهادة .. ﴿ وَلاَتَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾[6]

الكبيرة الثانية عشرة : اليمين الغموس[7] .. وهو أن يحلف الإنسان على شيء

(١) الآية ٢٣ : سورة النور .

(٢) من الآية ٢٧٥ : سورة البقرة .

(٣) من الآية ١٦ : سورة الأنفال .

(٤) من الآية ١٠ : سورة النساء .

(٥) من الآيات ٦٨/٦٩ : سورة الفرقان .

(٦) من الآية ٢٨٣ : سورة البقرة .

(٧) اليمين الغموس هى .. اليمين الكاذبة التى تُهضَم بها الحقوق ، أو التى يُقصَد بها الفسق أو الخيانة، وهى كبيرة من كبائر الإثم ، وسميت غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى نار جهنم ، قال الله تعالى ﴿ولاتتخذوا إيمانكم دخَلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ﴾ الآية ٩٤ سورة النحل ، وأخرج الإمام البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن النبى لله قال « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس».

ماض فعَله وهو لم يفعله ، أو لم يفعله وقد فعله ..
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الأَخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]

الكبيرة الثالثة عشرة : الغلول .. ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[2]

الكبيرة الرابعة عشرة : شرب الخمر .. الله قرنه – أى شرب الخمر – بالوثنيه.. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]

الكبيرة الخامسة عشرة : ترك الصلاة ، لأن الله قال . ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[4]

الكبيرة السادسة عشرة : نقض العهد ، وقطع الرحم .. ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[5]

هذه هى الكبائر بنص القرآن ، وكل كبيرة معها حكمها من القرآن ، جعفر الصادق رضى الله عنه يخاطب عالمًا هو عمرو بن عبيد ، فإذا ما نظرنا إلى الإستنباط الذى فوجىء به عمرو بن عبيد ثم يجيبه جعفر الصادق بهذا الترتيب وبشجاعة ما يقول لعمرو بن عبيد : نعم ياعمرو – اى جوابك عندى – ثم يجىء بها الإمام جعفر الصادق إرتجالا بدون تفكير مسبق .. هذا دليل على أنها مسألة اختمرت دراستها فى ذهنه وخصوصًا أنها آيات ليست مرتبة وراء بعضها ، ولكنه

(١) من الآيـة ٧٧ : سورة آل عمران .
(٢) من الآيـة١٦١ : سورة آل عمران .
(٣) من الآيـة ٩٠ : سورة المائدة .
(٤) الآيتان ٤٣ / ٤٢ : سورة المدثر .
(٥) من الآيـة ٢٧ : سورة البقرة .

ينتقى الآيات ، وكل آية فى مكانها مما يدل على أنه يعايش أسرار القرآن .

الكبائر التى ذكرها سيدنا جعفر الصادق تمثل ما يمكن أن يكون نقضًا للمجتمع من أساسه ، وكل كبيرة تنقض ناحية من نواحي المجتمع ، وهذا النقض للمجتمع يخالف الإيمان .. فالإيمان من معانيه : أنه منهج إن إتبعناه جميعًا عشنا فى أمن، والإسلام هو المنهج الذى إن إتبعناه جميعاً عشنا فى سلام . وعندما تأتى كبيرة من هذه الكبائر، وتزلزل ركناً من أركان المجتمع فلا أمان ولاسلام ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى..﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلا كَرِيماً﴾[1] .. أصل الفضائل هى أن تسلب نقيضة ، وأن توجد كمالًا ، فقبل أن يحاول الإنسان أن يصل إلى الكمال بإتباع الأوامر ، فعليه أن يسلب النقائص ، ولذلك يقال : التخلية قبل التحلية .

الله سبحانه وتعالى يَعِدُ الذين يجتنبون الكبائر بأن يكفر عنهم سيئاتهم ، والكفر - كما تعلم - هو الستر ، وتكفير الذنوب هو إماطتها[2] والإحباط هو إماطة الثواب، والحق سبحانه يعد العباد الذين يتجنبون الكبائر بقوله .. ﴿ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً﴾.. لا يمنع العذاب فقط عمن يجتنبون الكبائر ، ولكنه أيضًا يعطيهم عطاءً ربانيًا .. ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾[3]

لقد كان يكفى الآ يعاقب الله الإنسان المجتنب للكبائر ، ولكنه فى هذا الأمر لا يعاقبه الحق فقط بل يدخله مدخلا كريماً ، والمدخل الكريم يتناسب مع من يدخلك فى مدخله ، ولنا أن نتصور جمال المدخل الكريم الذى يعطيه الله سبحانه.. إنه مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولاخطر على قلب بشر .

مقارنة بين الكبيرة والصغيرة

الكبائر معناها جمع كبيرة ، ومادام هناك جمع كبيرة فلها مقابل وهو صغيرة

(١) من الآية ٣١ : سورة النساء .

(٢) إماطه : ماط : نحاه وأبعده (المعجم الوسيط) .

(٣) من الآية ٢٦ : سورة يونس .

وأصغر. إذًا .. تحت الكبيرة لايوجد صغيرة فقط ، ولكنه هناك كبيرة ، وهناك أصغر من الصغيرة وهي اللمم – إرتكاب الذنب – وما دام الحق سبحانه يقول لنا .. ﴿ إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ونُدْخِلْكُم مُّدْخَلا كَرِيماً ﴾ .. فما هي السيئات التي يكفرها الله عنا وبما هي منوطة ؟.. إنها منوطة بالصغيرة والأصغر. هذه مسألة وقف فيها العلماء ، فقال بعضهم : إن معنى ذلك أن نوحي للناس أنهم ما داموا قد إجتنبوا الكبائر فلهم أن يفعلوا الصغائر ، والعلماء أيضًا قالوا : لا .. إن الإصرار على الصغيرة يعد كبيرة فاعلم أن الله يغفر السيئة التي فلتت منك.

ثمة فرق بين أن تقع عليك المعصية بدون أن تقدم لها مقدمات ، وبين أن تصنع أنت بنفسك المقدمات حتى تذهب إلى المعصية ، ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى.. ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1] .

إذن .. فمعنى أن تصر أيها الإنسان على أن تفعل الصغيرة ، فأنت تجعل الصغيرة كبيرة ، وإن كنت تجتنب الكبائر وحدثت منك هفوة .. فما الموقف؟.. هنا قال العلماء الذين جعلهم الله هبات لطف ، وهبات رحمة على الخلق ، قالوا: لا كبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع الإصرار[2] فإذا أخذت الإستغفار فاعلم أنك يجب أن تمتنع عن الإصرار فلا تأخذ الذى على هواك ، وتترك الذى ليس على هواك ، بل خذ الإثنين معًا .

الإجتناب والتحريم

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم

(١) الأيتان ١٨ ،١٧ · سورة النساء

(٢) هذا قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾.. هذه الآية من الآيات الثمانى[1] التى جاء ذكرها على لسان بن عباس رضى الله عنه من حيث أنها خير مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، هى من فضل الله على أمة محمد ﷺ ، كأن الله قال : أنا سأرضى بإجتناب الكبائر ، أما الصغائر فهى مغفورة .. فالصلاة للصلاة كفارة ، والجمعة للجمعة كفارة ، ورمضان لرمضان كفارة .

أيها المسلم .. لايجب أن يكون عندك إصرار على الذنب ، وذلك لأن المسألة الآ تقول : سوف أفعل الذنب وبعد ذلك أتوب !! .. لآنك إن قدرت على ذلك ، فقدراتك لا تقدر على إستبقاء حياتك حتى تتوب ، ولا أحد منا يضمن حياته . الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾.. فكما ذكرنا أن الكفر هو الستر ، ومعنى أن يستر الله السيئات أى يعاقب عليها ، والتكفير هو إماطة للعقاب والإحباط للثواب .. ففرد قد صنع الحسنة والله لن يقبلها.. فهذا إحباط للحسنة ذلك لأن التكفير هو إماطة للعقاب ، والإحباط هو إماطة للثواب، لذلك قال الحق سبحانه .. ﴿ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾[2] .. أى ليس لهم عليها صواب لأنهم نفذوها وليس فى بالهم مستقبل الثواب من الله ، ولكن فى بالهم الخلق، لذلك قال رسول الله ﷺ[3]

---

(١) أخرج ابن جرير عن قتادة عن عبد الله بن عباس - رضى الله عنهما - قال :ثمانى آيات نزلت فى سورة النساء هن خيرُ لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت . وذكر ما ذكره عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : خمس آيات من النساء هن أحب إلى من الدنيا وما فيها جميعًا
(١) إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ..
(٢) وإن تك حسنة يضاعفها ..
(٣) إن الله لا يغفر أن يشرك بـه ..
(٤) ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ..
(٥) والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم .. زاد ابن عباس .
(٦) يريد الله ليبين لكم ..
(٧) والله يريد أن يتوب عليكم ..
(٨) يريد الله أن يخفف عنكم ..

(٢) من الآية ٢١٧ : سورة البقرة .

(٣) يقول الله سبحانه : فى حديثه القدسى من عمل لى عمَلا أشرك فيه غيره فهو له كله ..أخرجه مالك وابن ماجه ومسلم بسند صحيح عن أبى هريرة ، وأيضًا يقال لمن أشرك فى عمله خذ أجرك من

فعلت ليقال ، وقد قيل فقد قيل فى الناس إن فلانًا يأتى للمسجد ، أو قام بالإحسان ، وقرأ الناس ما كتبه الإنسان على المسجد حتى من جاء معه يصلى.. كتب عنه فيقال : حفرها فلان وفلان لقد أخذ ثمن ما فعله من القول.. ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَى مَاعَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾(١)

الذين يقيمون مشروعًا من أجل الخير ويضعون عليه لافتة من الرخام .. عليهم أن يراجعوا هذا الأمر ، فإذا كان الفرد منهم حريصًا على أن يأخذ الثواب من يد الله ، فلينزع هذه اللافتة ، ليفعل ما يفعله العباد من أجل الله فلا يرون إعلامه ؟! .. إن الذى بينك وبين الله سرٌ ، والله يقول لك لاتقل ذلك ، فلماذا تصنع للذى بينك وبين الله إعلانًا ؟! .

الحق سبحانه وتعالى فى قوله ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَونَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ .. الله يطلب الإبتعاد عن الكبائر لأن الإجتناب يعنى إعطاء الشىء جانبًا ، ولذلك يقال : فلانًا أدار جانبه عنى .. أى قابلنى بجنبه ، والمراد هنا التباعد . الحكم ساعة أن يطلب منك ألا تصنع الحدث ويطلب منك إسناد آخر أن تجتنبه فهذا يدل على أن الإجتناب أبلغ ، لأن الإجتناب يعنى ألا تتواجد فى مثل هذا المكان .. ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾(٢) .. فالأمر بالإجتناب هنا يعنى الإبتعاد عن مثل هذه الأمور ، لماذا ؟ .. لأن حِمَىَ الله له محارمه ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، والإجتناب ليس معناه عدم مزاولة الحدث أو الفعل ، ولكن عدم الإقتراب من مكان الحدث أو الفعل ذلك يسد المؤمن على نفسه مخايلة شهوة المعصية له ، ومثال ذلك قول الحق سبحانه وتعالى..﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَ الأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) .. أى أنه الأمر بالإجتناب حتى لا يسهل الشيطان للإنسان إرتكاب ما نهى الله عنه.

= عملت له .. من حديث محمود ابن لَبِيد

(١) من الآية ٢٣ : سورة الفرقان

(٢) من الآية ٣٠ سورة الحج

(٣) من الآية ٩٠ سورة المائدة

فعندما يوجد إنسان بين جماعة تشرب الخمر فيقول الحق : إجتنب هذا المكان لأن الخمر وهى أمامك قد تسول لك نفسك أن ترتكب حماقة شربها ، ولذلك يكون الإجتناب أبلغ من التحريم .

لقد كان هناك بعض القوم يُوجِدُ لنفسه مندوحة فى أن شرب الخمر لم يرد فيها نص تحريم ، نقول لهؤلاء : حسب الفرد منكم أن شرب الخمر قرنه الله بالرجس ، فاجتناب الخمر ليس نهياً عن شربة فقط ولك نهيًا لحضور مجالسه.. ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾.. تلك هى إحدى ثمانى آيات من سورة النساء قال عنها ابن عباس : خير لهذه الأمة مما طلعت علية الشمس أو غربت .



الكبيرة الأولى

الشـــــرك بالله

يقول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَاحَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[1] .. هل حرم الله علينا ألا نشرك ؟ .. إن السياق يقتضى أنه حرم علينا أن نشرك ، أما أن يقال إنه حرم علينا ألا نشرك ؛ المعنى لايستقيم، وذلك عدم فهم للمعنى .. لأنه ساعة أن نلتقى الأوامر نقول لك : إستمع إلى ما أمنعك منه ، فإتبع هذا المنع .. فكذلك إستمعوا إلى ما حرمه الله ، أى أن الله سيبين لكم ما حرمه .. ما هو الذى حرمته يارب ؟ .. والجواب ألا تشركوا به شيئاً .

عدم الشرك أول المحرمات

الله سبحانه وتعالى حرم أن يشرك به ، وتحريم الشرك المنهى عنه يكون أول المحرمات ، ومعنى ألا تشرك بالله هو التوحيد . إذ أن كل نهى له أمر يقابله ، وكل أمر له نهى يقابله .. فكل أمر يستلزم نهيًا ، وكل نهى يستلزم أمرًا، فإذا قال الله سبحانه وتعالى .. ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾.. يكون هذا أمرًا وليس فيه تحريم .. أمر بإيجاب يقابله أن المحرم هو عقوق الوالدين . فإذا قال إنسان إن الله سبحانه وتعالى قد قال لنا .. ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾.. ثم جاء بأمور محرمه ، وأمور واجبة التنفيذ وقال .. ﴿ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ .. فعرفنا أن الشرك محرم ، ثم قال .. ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ .. ذلك أن الإحسان للوالدين ليس محرماً ولكنه مطلوب .

---

(١) من الآية ١٥١ سورة الأنعام

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يلفتنا إلى أنه حين يأمر بشيء فإنه ينهى عن شيء آخر ، وحين ينهى عن شيء فإنه يأمر بشيء آخر فاذا نهانا عن الشرك فإنه يأمرنا بالتوحيد ، وإذا أمرنا بالإحسان إلى الوالدين فإنه ينهانا عن الإساءة إليهما ويأمرنا معاملتهما معاملة كريمة ، أى أن الله عندما ينهانا عن شيء فكأنه يريد أن نفعل ما يقابله ، وعندما يأمرنا بشيء فكأنه يريدنا ألا نفعل ما يقابله .

ألوان الشرك

أيها المسلم .. إياك أن تلفت وجهك إلى غير الله يمينًا أو يسارًا ، وهناك أشياء دون إيمان القمة قد تفسد إيمانك بالله مثل أن تطيع رجُلا ذا نفوذ فتعتقد أنه سينفعك أو سيعطيك مغنمًا دنيويًا فتطيعه فى معصيته ، وذلك بأن تقول غير الحق ، أو تشهد الزور ، أو تظلم أحدًا وهذا إسمه الشرك الخفى .

المقصود بالشرك الخفى هو أن تغضب الله سبحانه ، وترضى شخصًا ، ولذلك نجد بعض الناس يقولون ربنا فوق وأنت تحت .. أى أعبد الله ولكننى أنفذ أوامرك حتى لو كانت تخالف منهج الله .. نقول · لا تقل هذا الكلام ، بل قل الله سبحانه فى السموات والأرض وفى كل مكان ، والله تعالى إذا أشرك إنسان به طمعاً فى خير إنسان آخر أو نفوذه ، فإن الله جل جلاله لا يجعله ينال منه خيرًا أبدًا ، بل يجعله ينقلب عليه ويكون سببًا فى إيذائه

والشرك الأصغر هو أقل مرحلة فى العبادة .. أنت تؤمن بالله ، ولكنك تجعل لإنسان عملا مع الله فتبتغى رضاه ، نقول لك : لا .. الله سبحانه وتعالى هو الشافى ، ولكن بعض الناس ينسبون الشفاء للطبيب .. الطبيب يعالج فقط ويعطى الدواء ، وقد يكون الدواء فيه العلاج ، والطبيب مرة يخطىء فيضر المريض ومرة يصيب أنسب العلاج للطبيب والشفاء لله ، ذلك ألا تشرك الطبيب مع الله فى الشفاء

الله سبحانه وتعالى يريد للمؤمنين ألآ يفتنوا بالأسباب بل لابد أن يلجئوا إلى المسبب .. لابد أن تتحرز من الشرك الخفى ، وأن ننسب كل شيء لخالقه وصانعه وهو الله سبحانه وتعالى

الشـرك الخـفـى

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ ﴾[1] .. هذا إيمان بالله ، ولكن الكفار أشركوا بالله سبحانه فقالوا : بنات الله ، والأصنام شفعاء عند الله ، واليهود قالوا : العُزَيز ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله ، وهناك مؤمنون عاديون يخصون الأقوياء بالخضوع لأنهم يعتقدون أنهم يضرون وينفعون .. هذا لون من الشرك الخفى .. يتقربون إليهم تقرباً لا يسمى فى عرف المودة مودة ، ولكنه ذلة مودة، تقرب ذليل ، لأنهم يعتقدون أنهم ينفعونهم ويضرونهم .. الفرد منهم يغضب الله ليرضى رئيسه أو صاحب نفوذ ، فإذا ألقيت عليه اللوم يقول لك : هل تريد أن تضرنى فى رزقى ؟! .. هل تريد أن يلقوا بى فى السجن ؟ .. هل تريدهم أن يشردونى أنا وأولادى ؟ .. كل هذا من الشرك الخفى .

ونوع آخر من الشرك هو أن تعتقد أن قضاء الأمور فى يد الناس ، فتظل تتذلل إلى هذا وإلى ذاك ، وتكون النتيجة أنك لاتأخذ إلا ذنوباً ، ولايتم ما قضى به الله . الإنسان الذى يعتقد أن المنفعة فى يد بشر هو من أصحاب الشرك الخفى ، لأن النافع والضار هو الله . ونجد إنساناً يقول لك : سأعمل كذا والباقى على الله ، نقول له : وغير الباقى على من ؟ .. على قدراتك .. هذا شرك خفى. وتجد من يقول : لولا أن فعلت كذا وكذا ما قضى هذا الأمر ، نقول هل لك قدرة على قضاء الأمور أم القدرة كلها لله وليس لك منها شىء ؟ .. إذا طلبت من إنسان شيئاً وقال لك : إن شاء الله سيقضيه ، وقد يقول لك : لو أنك أردت أن تقضى لى هذه المسألة لقضيتها .. ما دام هو قال وأنت فهذا شرك خفى .. والإنسان إذا إعتقد أن قضاء الشىء فى يد البشر ، وأخذ يلح فى ذلك فاعلم أن هذه المسألة لن تقضى لأنك أشركت غير الله فيها . الله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك ، واقرأ قوله تعالى .. ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم

(١) من الآية ٦١ : سورة العنكبوت

بِظُلْمٍ ﴾[1] . أى أنهم مؤمنـون ، ولكنهـم خلطـوا إيمانهـم بشيء مـن الظلـم بـأن اعتقدوا أن أحداً ينفع أو يضر أو يشفع أو يتشمع .. فالناس فى سعيهم إلى الدنيـا، وحتى المؤمنون منهم يعتقدون أن الحاجات بيد البشر ، ويجرون وراء من يظنـون أنه يملك الأسباب فى الدنيا سواء من أصحاب النفوذ والسلطان ، هؤلاء هـم أكثرية المؤمنين الذين فى داخلهم شرك خفى ، يخلطون إيمانهـم بالظلـم.. والظلـم أول الشرك .. ﴿ يَابُنَيَّ لاَتُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِرْكَ لَظُلْـمٌ عَظِـمٌ ﴾[2]

ولكن ما الذى جعل المؤمنين يدخلون الشرك الأصغر فى نفوسهـم ؟ .. الـذى يدفعهم إلى أن يفعلوا ذلك هو أن إيمانهم ناقص ، وأنهم يريدون الدنيـا أكثـر ممـا يريدون الآخرة ، وهؤلاء الذين يتعلقون بالدنيا ويريدون العلو فيهـا ، ويعتقـدون أن النفع والضر بيـد الله ، هـل آمنـوا أن ينـزل الله عليهـم عذابًا فى الدنيـا سواء ؟ .. أو أن يموتوا فجأة ، ومن مـات فقـد قـامت قيامتـه ، والإنسان يستبطىء القيامـة . نقول: لاتستبطىء عذاب القيامة لأنك لاتعرف متى تقوم قيامتك .. قد تقوم قيامتك هذه الساعة ، وبمجرد أن تمـوت إنتهى عملك ولـم يعـد ينفعك نـدم ، ولا تقبـل لك توبة ، ولاتأخذ منزلة أكبر مـن منـزلتك فقـد إنتهى كـل شيء .

إن الله لايغفر أن يشرك به

الله سبحانـه وتعالى يغفـر مـا دون الشرك قمـة الخيانـة العظمى هى الشرك بالله ، وهذه لاغفران فيها ، وبعـد ذلك يغفـر لمـن يشاء . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِـرُ أَن يُشْـرَكَ بِـهِ وَيَغْفُـرِ مَـا دُونَ ذَلِك لِمَـن يَشَـاءُ وَمَـن يُشْـرِكْ بِاللَّـهِ فَقَـدِ افْـتَرَى إِثْمًـا عَظِيمًا﴾[3].. الله لا يغفر أن يشرك بـه العبـاد ، كـأن يجعلـوا مـن إنسان نـدًا لله ، أو أن يعبـدوا إنسانـاً دون الله ، أمـا المغفـرة فهى مـن إرادة الله لكـل الذنـوب إلا المعصيـة الكبـرى .. وهى الشرك بـالله سبحانـه وتعـالى .. ﴿ قُلْ يَا عِبَـادِىَ الَّذِيـن

(١) من الآية ٨٢ : سورة الأنعام

(٢) من الآية ١٣ : سورة لقمان

(٣) من الآية ٤٨ سورة النساء

أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّـهَ يَغْفِـرُ الذّنُـوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيـمُ ﴾[1] .. الله سبحانه وتعالى يأمر رسولـه أن يبلـغ النـاس كافـة أن العباد الذين أسرفوا على أنفسهم بكثرة المعاصى عليهم ألآ ييـأسوا من رحمـة الله، وأن يعلموا أن الله يغفر الذنوب جميعًا ، ولا يغفـر أن يشرك بـه ، ويغفـر مـا دون ذلك لمـن يشاء .

ابن عباس لحظـة أن جـاءت آيـة .. ﴿إِن اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُـوبَ جَمِيعًـا ﴾[2] .. قال: إلا الشرك حتى لا تصطدم هذه الآية مع الآيـة الأخـرى . والواقـع أنـه حيـن يدقق أولوا الألباب فى البحث فلن يجدوا تصادمًا لآن المشرك لم يعتـرف بالمقنـن، فالشرك ذنبًا .. إن الذنب يكـون لمـن إعتـرف بالمقنـن الأعلى ، وبعـد ذلك أخـذ قوانينه وعصى واحدةً مـن هـذه القوانيـن ، أى أن الشرك ليس ذنبًـا ، ولـذلك فـلا تعارض ولا إصطدام فى آيات الرحمـن .

الشرك بالله قمة الظلم

الله سبحانه وتعالى يقـول .. ﴿ إِنَّ الشّـرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيـمٌ ﴾[3].. الظلم هو أن يحكم إنسان بشىء للغير ليس من حقه . بـالله عليك عندمـا يحكـم واحـدٌ بـأن لله شريكًا فى ملكه .. أليس هذا قمـة الظلـم مـن الإنسان لنفسه ؟ .. الإنسان لايقـدر أن يظلم الله ، لأن الله أغنى الشركاء عن الشرك ، ولـذلك يقـول سبحانـه وتعـالى فى حديثه القدسى .. « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمـل عمـلاً أشرك فيـه غيرى تركته وشركـه »[4]

إن الإيمان قد جاء ليطمئن بأن الإله واحد ، فليس هناك أوامـر إلا مـن الإلـه الواحد ، ولا توجـد أوامـر مـن أى جهـة أخـرى . التشتت يُسبب لـلإنسان التوتـر وعدم القدرة على تنفيذ أى أمر ، وهذه قضيـة يثبتهـا الواقـع لأنـه إذا كـان الله قـد

(١) من الآية ٥٣ : سورة الزمر
(٢) من الآية ٥٣ : سورة الزمر
(٣) من الآية ١٣ سورة لقمان
(٤) أخرجه ابن ماجه فى سننة ، والإمام مسلم فى صحيحه : باب تحريم الرياء

أنزلها فى كتابه المقروء ﴿ إِنَّنِى أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِى وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِى ﴾[1] . فإما أن هذا القول صدق ، وإما أن يكون والعياذ بالله غير ذلك.. فإن كان صدقاً فالمسألة تكون قد إنتهت . وإن لم تكن صدقًا وكان معه إله آخر !! .. فأين هو هذا الإله ؟! .. إن لم يكن قد عُرف ذلك الإله الآخر.. أن هناك إلهاً واحدًا أخبرنا بوجوده . فهذه معصية أن يكون مثل هذا الإله موجودًا. وإن كان ذلك الإله قد عُرف فلماذا يصمت ؟ .. هذه هى مسألة الشرك .. لقد جاء الإيمان بوحدانية الإله ليدحض الشرك وليريح النفس البشرية من كثرة تلفتاتها.

وكما أن الظلم هو نقل الحق إلى غير صاحبه ، وأعلى مراتب الظلم هو الشرك بالله ، وهو الظلم العظيم ، ذلك أن الإنسان حين يظلم إنسانـًا آخر فهو يأخذ منه شيئاً ليعطيه لغيره .. فهل هناك إنسان يقدر على أن يأخذ من الله ؟ .. إن الإنسان لايستطيع أن يظلم الله ، لكنه ينال عقوبة الشرك ولايأخذ من الله شيئًا.. إنه ظلم للنفس

الذى يشرك بالله لايأخذ إلا الخسارة ، ذلك أن الظلم حينما يحقق للظالم نفعًا فهو ظلم هيّن ، ولكن الظلم العظيم هو أن يشرك إنسان بالله ، فلا يأخذ إلا العقاب الصارم ، فإذا كان المشرك يتأبّى على منهج الله فى الأشياء ، فهل يجرؤ على أن يتأبى على قدريات الله غير الإختيارية فيه كالموت مثلاً . الحق سبحانه وتعالى يأمر الإنسان بالإيمان ومتعلقات الإيمان وهى .. شهادة بوحدانيته، وإيمان برسله ، وكتبه ، واليوم الآخر ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن إستطاع إليه سبيلاً المشرك يتأبى على الإيمان والتكليف .. فهل يجرؤ على التأبى على المرض أو على الموت ؟

الشرك بالله من عمل الشيطان

الله سبحانه وتعالى ذكر خمسة أشياء هى

(١) من الآية ١٤ سورة طـه

(١) الفـواحش (٢) الإثـم . (٣) البغى .

(٤) الشرك (٥) التقـول على الله .

فقد قال سبحانه وتعـالى .. ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَـرَ مِنْهَـا وَمَـا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ ينـزِلْ بِـهِ سُلْطَانـاً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .. فتأتى إلى رابع المحرمات .. ﴿ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانـًا ﴾ .. وهل هناك شرك أنـزل الله بـه سلطانـًا ؟!

الله سبحانه وتعالى واحدٌ أحد ، ومحال أن يكون هنـاك شريك قـد أنـزل الله به سلطانًا ، والخطاب هنا إستهـزاء بالمشركيـن ، ولكـل أولئك الذيـن يدعـون أن لله شريكًا ، لذلك فالله يستهزىء بهم ، ويطـالب المؤمنيـن أن يسألوهـم : هـل الله سبحانه وتعالى هو الذى أنـزل هـذا وقـال لكـم إن لى شركـاء ؟.. فـإن كـان قـد فعل، فأين هو البرهان من الله ؟ .. وحينئذ سيكون الجواب : إن الشرك من عمـل الشيطان ، لأن كـل أدلـة الإيمـان ، ومنهـج الله ، والتفكيـر العقلى المنطقى تؤكـد وحدانية الله سبحانه وتعالى وأنـه لاشريك لـه .

إذن .. فكل من أشرك بـالله أتى بهـذا الشرك مـن وحى الشيطـان ولـم يُنَـزِل الله سبحانه وتعالى سلطانًا بـذلك .

أضـــرار الشرك

الله سبحانـه وتعـالى يقـول .. ﴿ وَاعْبُدُواْ اللَّـهَ وَلا تُشْرِكُـواْ بِـهِ شَيْئًـا ﴾[2] .. الشرك يضر قضيتكم فى الوجود ، فالشرك يجعـل الإنسان لفوتـًا[3] ، ولذلك فإن الحق حين ضرب المثل يضربه لراحـة الموحـد بـه ، ولتعب المشرك .. ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَـلا رَّجُـلا فِيـهِ شُرَكَـاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَماً لِرَجُـلٍ هَـلْ يَسْتَوِيَـانِ مَثَـلا الْحَمْدُ للَّـهِ بَـلْ أَكْثَرُهُـمْ لا يَعْلَمُـونَ ﴾[4]. هذا عبـد مملـوك لجماعـة ، والجماعـة

(١) من الآية ٣٣ سورة الأعـراف

(٢) من الآية ٣٦ سورة النســاء

(٣) لفوتـاً : كثير الالتفاتات

(٤) من الآية ٢٩ سورة الـزمـــر

مختلفة ومتشاكة، وهو لايعرف كيف يأتمر بأمر واحدٍ منهم ، فإن أرضى هذا أغضب ذاك . إذن .. فهو عبد مبدد الطاقات ، موزع الجهود ، مقسم الإلتفافات، ولكن العبد المملوك لواحد لايتقبل إلا أمرًا من سيد واحدٌ ونهياً من نفس السيد.

الله سبحانه وتعالى يشرح القضية لعباده بصيغة الإستفهام ، وهو العليم بكل شيء ليجعل المؤمن به يشاركه في الجواب حتى إذا ما قال الحق سبحانه .. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ .. هنا يعرضها الإنسان على عقله ويريد أن يجيب ، فماذا يقول؟ .. بطبيعة الفطرة ، وطبيعة منطق الحق يقول : لا يارب لايستويان . إذًا.. فأنت أيها العبد المؤمن قد قلتها ، ولم يفرضها الله عليك ، ولكن الحق سبحانه طرحها سؤالاً منه إليك حتى يكون جوابك الذى لن تجد جوابًا سواه : لايارب لا يستوى هذا وهذا . فإذا ما كنت كذلك أيها العبد المؤمن إرتحت في الوجود، وتوفرت طاقتك لأمر واحدٍ ونهي واحدٍ ، وتصبح سيدًا في الكون فلا تجد من يأخذ منك عبوديتك للكون ، وتلك هي راحتك في تنفيذ قول الله سبحانه .. ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا ﴾[1] .. لأن الشرك بالله والعياذ بالله يرهق صاحبه.

المشركون حين يشركون لا يأخذون عون الله ويأخذون عون الشركاء ، والله سبحانه وتعالى يتخلى عن عون العبد المشرك ، لأنه قال في حديثه القدسي.. «أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عمّلا أشرك فيه غيرى تركته وشِركه».. إن الله يتخلى عن العبد المشرك ، وليت العبد المشرك يأخذ حظه من الله كشريك، وإنما ينعدم منه حظ الله ، لأن الله سبحانه غنى عن أن يشرك معه أحدًا آخر .. وهكذا يكون المشرك بلا رصيد إيمانى ويحيا في كد وتعب .

السحر

والسحر كبيرة من الكبائر التى تهدد المجتمع ، وتفزع كيانه ، لأنها تنتهى إلى قوة خفية فلمن لجأ إلى السحر فان له نصيب في الآخرة ، لأن السحر ضار بالمجتمع وذلك بهدم المجتمع وتفزيعه ، فلماذا نجد السحر في الحياة ؟

(١) من الآيه ٣٦ : سورة النساء

الإنسان جنس ، والجن جنس ، والإنس والجن مكلفان من الله ، لأن عنصر الإختيار موجود فيهما ولذلك قال الله سبحانه وتعالى .. ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾(١) .. و ..﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾(٢) .. إذًا فجنس الجن مثلنا تمامًا ، لكن يختلفون عنا في أن لهم قانونًا ولنا قانون . إن قانون الجن يسمح له أن يرانا ونحن البشر لانراه ..﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾(٣).. وقانون الجن أخف من قانون البشر.. لماذا ؟ .. لأن كل جنس يستمد قانونه من جرثومة تكوينة .

نحن البشر خلقنا الله سبحانه وتعالى من طين .. أى مادتنا مُحَسَّة وكثيفة ، وجنس الجن مخلوق من النار ، وللنار شفافية ، وخفة في قانونها ، وإنتقالها ، وليست هذه الخفة موجودة في قانون الإنسان ، وذلك عندما سخر الله الجن لسيدنا سليمان ، فقد قال الجن لسليمان .. ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾(٤).. وذلك بالنسبة لعرش بلقيس ، وهذا يدلنا على أن للجن قانونًا خاصًا في الوجود ، والإنتقال ، والحركة ، والسرعة .. وذلك أن لكل جنس من الأجناس له القانون المناسب له .

البعض قد يقف كما وقف كثير من سطحيى المفكرين الذين قالوا : ما هو أمر الجن الذى تحدثوننا به ؟ .. وأين هو عالم الجن أو عالم الملائكة ؟ .. أو ذلك العالم الخفى الذين تتكلمون عنه ؟ .. نقول لصاحب هذا القول : ما رأيك إذًا في الميكروبات التى ظهرت في عصرنا الحديث ؟ .. أليس عالَمًا خفيًا ، وظل عالم الفيروسات مجهولاً عن الإنسان إلى أن تم إختراع المجهر ؟! .. هذه الميكروبات موجودة من قبل ، وكانت غائبة عنك .. فلماذا لاتأخذ منها أن شيئًا كان موجودًا تحت حسك ، وغير مدرك بإرادتك رغم أن هذا الشىء كان موجودًا،

(١) الآيات ٢/١ : سورة الجـــن

(٢) من الآية ١١ : سورة الجـــن

(٣) من الآية ٢٧ : سورة الأعراف

(٤) من الآية ٣٩ : سورة النمـــل

وكانت لاتملك آلة إدراكك إدراكه ، وعندما أراد الله أن يصل الإنسان بجهده إلى إختراع وسيلة أمكنه كشف تلك الآله – المجهر - التى تعرفك بوجود تلك الكائنات فَتَعَرَّفَ الإنسان على هذه الميكروبات

موضع الشيطان

فعندما يحدثك القرآن بوجود أجناس أخرى .. لماذا لاتأخذ من صدق ما وصلت إليه بالعلم دليلا على صدق ما جاء بالقرآن ؟ .. ويقول الرسول ﷺ: «إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم بالعروق »[1] .. قد يتساءل أحد : وهل يجرى الشيطان فى الدم ؟ وهل هو مادة ؟ .. وهل هو جسم ؟ .. إن لنا أن نعرف أنه خلق لطيف له قانونه الخاص .

إذن .. فعندما نسمع بلاغًا من الله ، أو حديثًا عن رسول الله ﷺ بأن الشيطان قد يجرى مجرى الدم فى عروق الإنسان .. فما التناقض الذى حدث؟.. ألا تعلم أن ميكروبًا يجرى فى الدم ولاتعرف كيف تسلل إليك ولم تشعر به ، وهو يدخل جسدك من ناحية الحرارة ، والعبث بكل أعضائك ، وتحاول الكرات الدموية البيضاء أن تحاصره . إنك لم ترَ الميكروب أو الفيروس . إذًا .. الله سبحانه يطلق من غيبيات كونه المادى ما يثبت صدقه فى التحدث بغيبيات أخرى.

هكذا نعلم أن للجن قانون وجود خاص ، ونعرف أن مسألة السحر جاءت من هنا ، ولكن يجب أن نعلم أنه يجب ألاَ يُظنّ أن جنس الجن أخذ خفة قانون شفافيته من عنصر تكوينه بل بإرادة المكون الأعظم ، بدليل أن الخالق الأعظم عندما وهب من لدنه علمًا من الإنس فقال لسليمان .. ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[2] .. إذًا فليست المسألة عنصرية حكم ، ولكنها إرادة حاكم.. إنه سبحانه وتعالى القائل : وأنا أستطيع أن أجعل الجنس القوى بقانونه – وهو الجن – محكومًا بواحد من الإنس ، ويتصرف فيه ويأمره بما يريد ،

(١) متفق عليه

(٢) من الآية ٤٠ سورة النمل

ويفعل له ما يطلب منه ، ولكن هذه المسألة تصنع فتنة عند من يعرفها ، لأنها ستعطيه فرصة ليست مملوكه لغيره ، وعندما تأتى له فرصة ليست موجوده عند غيره ، فقد يطغى بها ، وكلنا يذكر قوله سبحانه وتعالى .. ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ ﴾[1] .. فتنة لماذا ؟.. لأن الإنسان يأخذ بذلك فرصة ليست موجودة للغير .

عندما توجد عند الإنسان فرصة ليست موجودة للغير .. فالإنسان لايضمن نفسه بألا يستخدمها فى الضرر ، هى إذن فرصة قد تقود للنار . الحق سبحانه وتعالى قد ربط هذه الفرصة بالتنبيه .. ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[2] .. إذن الحق سبحانه وتعالى من طلاقة قدرته يعطى للجنس الضعيف فى قانون ما كالإنس شيئًا يستطيع أن يُسَخِّرُ به الأقوى وهو الجن ، والجن يعلمون هذه المسألة ، ولذلك كل الذين تمثل لهم أشياء عن الجن ، يعرفون أن الجن لا تأتى فى رتابة ، ولكنها تظهر فى لمحة خاطفة .. لماذا ؟.. لأنه لايستطيع كجن أن يظل على صورته التى تمثل فيها ، لأنه لو تمثل بإنسان حكمته الصورة ، ومادام قد حكمته الصورة فقد يستطيع الإنسان أن يطلق عليه الرصاص . قد يظن الجن أن الإنسان يعرف هذا الأمر من طبيعته ، ولذلك يخشى أن يقتل .

الجن يظهر كلمحة البرق .. كومضة البرق ويختفى . إذًا .. فالحق سبحانه وتعالى لطلاقة قدرته يمكنه أن يعطى للجنس الأقل القدرة على أن يسخر الجنس الأقوى ، ولكنه لابد أن نتنبه إلى أن هذه ليست فى مصلحة الإنسان ، لذلك يقول المؤمن : أنا لاأريد هذه الفرصة ، لأنى أكتفى فى جنسى بقانونى البشرى،

---

(١) من الآية ٤٠ . سورة البقرة

(٢) من الآية ١٠٢ سورة البقرة

لأنه لا توجد عندى مغريات تعطينى فرصة ليست عند أخى الإنسى ، وربما وجود هذه الفرصة عندى يخلخل تكافؤ الفرص بينى وبين إخوانى البشر . نحن نعرف أن الذين يملكون هذه الفرصة قد يطغون فى الناس .

من يصنع الشىء الذى يجعل المرأة تكره زوجها ، أو يجعل الزوج يكره امرأته هو الذى يقوم بحل هذا الْعَمَلُ المصنوع ، ومن مصلحة الساحر أن تزداد، ولذلك فلا أحد يتغلب على هذه المسألة إلا إذا استحضر قول الحق سبحانه .. ﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1] .. فلو قال لى قائل : إنه مسحور .. فنحن نعرف أن السحر وارد ، ولكن يجب أن نعلم أنه طبيعيًا ، ولكن الله حين لا يرضى بضرره - ضرر الإنسان - فلن يضره أحد ، فوجود السحرة واقع والسحرة فتنة للناس ، والذى يتبع هؤلاء السحرة حتى يصنعوا السحر ، أو يفكوا لهم السحر قد يفتن بالسحرة ويظل طوال عمره فى تعب .. ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[2].. لذلك من الخير الإبتعاد عن مجالات الإرهاق ، وعلى الإنسان أن يتعلم هذا الدعاء ..

« اللهم إنك قد أقدرت بعض خلقك على السحر واحتفظت لذاتك بإذن الضر فأعوذ مما أقدرت عليه بما احتفظت به »

وعلى الإنسان أن يتجاهل السحرة ، ويحقر من شأنهم .. إن السحرة يسخرون من الضعيف ويضحكون عليه .. إن السحر يصنع عدم تكافؤ الفرص فى الخلق ، ويحاول الساحر أن يفتن الناس بالناس ، إنه يظل حديث الناس بقدرته على نقل جدار عن جدار ، ويقف أمامه طابور من السذج .. إنه يخل توازن المجتمع لأنه يمنع قانون تكافؤ الفرص

(١) من الآية ١٠٢ سورة البقرة
(٢) من الآيــة ٦ سورة الجن

تعلم السحر كفر

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمُونَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَاهُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .. لقد استحضر هؤلاء القوم ما كانت تتلوه الشياطين أيام ملك سليمان ، إنهم يستعيدون ما تلته الشياطين وكأنه شيء جديد ، ونحن نعرف أن الشياطين هم مردة الجن .. إنهم المتمردون على منهج الله ، وهم العصاة من الجن ، وكل متمرد على منهج الله نسميه شيطانًا .

نحن نعلم من كتاب الله الحق أن من الجن قومًا صالحين ، ومنهم الفاسقين.. ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾[2] .. وكانت الجن تسمع بقدرة الحق على الأوامر التى تقولها الملائكة ، وكانت الشياطين تنقل الأوامر بعد أن يزيدوا عليه الخرافات والأكاذيب فيكون بعض من الأوامر حقًا ، والبعض الآخر باطلا.

والشياطين كانوا من قبل يتصنتون على الأخبار القادمة من السماء للكهنة ليمزجوا أصدقها ببعض من الأكاذيب فتصبح فتنة ، وتصبح الفتنة ابتلاء لمن يصطدم بها ، فمن ثبت قلبه على الإيمان ، كان خالص الإيمان ، ومن زيغ قلبه بالفتنة فله عقابه . وقد كانت الشياطين أيام ملك سليمان تستخدم السحر ، فعرف سليمان بالأمر فجمع الكتب التى تعلم الناس تسخير الجن إلى ما هو فاسد ، ويقال إنه وضعها فى الأرض من أجل أن يمنع ذلك الأمر عن الناس ، ولما مات سليمان، دلت الشياطين بعض الناس على المكان الموجود به هذه الكتب ، وادعت الشياطين أن سليمان سخر الجن والإنس والريح بواسطة هذه الكتب ، وسليمان برىء من

(١) من الآية ١٠٢ سورة البقرة
(٢) من الآيــة ١١ سورة الجـن

الكفر بالله ، لذلك يعلمنا الله سبحانه أن الذى يتبع هذا الطريق - الذى يستخدم السحر - هو كافر بالله .

والشياطين تعلم الناس السحر ، لكن الذى يتعلم السحر يعرف أن ذلك الأمر فتنة ، وأن سوء استخدامه كفر ، ولنا أن نعلم الآن إجابة سؤال : ما هو السحر ؟ .. إن السحر مأخوذ من حروف س ، ح ، ر .. والسَحَرْ هو وقت آخر الليل وأول شقشقة النهار ، ففيه من ظلمة الليل وإشعاعات ضوء النهار . إذًا .. فالسحر هو شيء يخيل إليك أنه واقع وهو ليس بواقع .. السحر جامع بين شيئين ظاهره واقع ، وباطنه غير واقع .

نحن نعلم أن السحرة عندما التقوا بموسى فى الإجتماع العظيم الذى دعا إليه فرعون سحروا أعين الناس حتى خيل على الناس أن ما ألقاه السحرة هو أشياء حقيقية . إذًا .. لم يكن التغير فى الأشياء التى القاها السحرة ، ولكن التغير كان فى أعين الناس ، وهذا أمر مختلف عن عصا موسى التى أرادها الله أن تكون أفعى .. فصارت أفعى بقدرة الحق . فالمسحور هو من يحدث له التغير ، أما معجزه موسى عليه السلام فلم تكن سحرًا بل كانت معجزة حقيقية بالفعل ، ولو كانت عصا موسى عليه السلام مجرد عصا ، لكان السحرة أول الناس معرفة أنها عصا ، لكنهم عرفوا أنها أفعى لذلك .. خروا سجدًا معلنين الإيمان .

إذًا .. السحر هو تخيل حقيقة وهو ليس بحقيقة .. كيف ؟ .. لقد خلق الحق شياطين لهم قدرة على التشكل . الشيطان من الجن يستطيع أن يتشكل بأى شيء ، والإنسان فى يومه لايستطيع أن يدرك الشيطان على صورته الحقيقيه.. والشيطان من الجن يتشكل للإنسان بما يمكن لإبصار الإنسان أن يدركه ، والشيطان عندما يتشكل فإن الصورة التى يتشكل عليها تحكمه ، فإن تشكل بإنسان أو حمار أو قط أو كلب فإن الصورة هذه تحكمه بحيث إذا تشكل فى شكل ما وأطلق الإنسان عليه الرصاص فإن هذا الشيطان من الجن يموت فورًا ، وهذا هو السبب فى أن الشيطان يتشكل فى لمحة خاطفة ويختفى بعدها ، لأنه ربما يظن أن من رآه على هذه الصورة يمكنه أن يقتله

نعم إن فى قدرة الإنسان أن يمسك بالشيطان فى شكل ما لذلك

فالشياطين من الجن لاتصبر على التمثل لأنها تخاف ، وذلك أمر من رحمة الله سبحانه بنا وإلا كانت مردة الجن قد أفزعتنا .. إنه إبتلاء مقدور عليه ، والحق سبحانه يحفظ الكون بتكافؤ الفرص وهو الذى يجعل الإنسان أو الشيطان من الجن يلزم حده .

هل إستخدام الجن ممكن

الذى يجعل الأمن فى العالم يختل هو عدم تكافؤ الفرص ، والله سبحانه وتعالى يريد للإنسان تكافؤ الفرص حتى يحفظ أمن المجتمع وسلامته ، ولكن الله سبحانه يريد أن يختبر الإنسان بالإبتلاءات المختلفة لذلك يقول لنا الحق سبحانه لا تظنوا أن الشيطان - بحكم عنصريته - قادر على التحكم فيكم ، لأنى أنا الخالق ، بل إن الحق بقدرته قد يجعل من الإنسان عالمًا ، بما يستطيع به قهر الجن ، وقد يستخدم الإنسان ذلك فى السيطرة على الجن ، وهى أشياء وقدرات يُعَلِّمُهَا الحق سبحانه للملائكة ، والملائكة بإمكانهم أن يعلموها للناس، ولكن الملائكة تحذر من يتعلمها لأن الأمر فتنة . ولنا أن نعرف أنه إذا استخدم الإنسان الجن فمعنى ذلك أنه أخذ فرصة أكثر من نظيره الإنسان الآخر .. فقد يطغى عليه ، ومن يطغى فهذا ظلم ، ومن يظلم فإنه يستحق العقاب .

الحق سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطى للإنسان بعضًا من الأسرار ليسخر بها من فوقه من الجن .. لكن حذار من الفتنة . لذلك فمن الأفضل للإنسان ألآ يتعلم ذلك .. لماذا ؟ .. لنضرب مثًلا ولله المثل الأعلى ، بأن طفًلا أعطاه كائن أكبر منه مسدسًا ، فقد يخطىء الطفل فى استعمال المسدس ويضرب نفسه أو من حوله . إذًا هذا المسدس أخل بتكافؤ الفرص . والحق يريد أن يعطينا هنا قضيتين ..

القضية الأولى : وهى أن الشيطان من الجن وإن كان تصرفه أقوى من تصرف الإنس فذلك بقدرة الحق الذى جعله على هذا العنصر من التكوين .

القضية الثانية : أن الحق سبحانه وتعالى يستطيع بقدرته أن يعطى الإنسان أشياء

يسخر بها الجن . ولذلك تحذر الملائكة من يتعلمه بأن ذلك الأمر فتنة فلا داعي أن يكفر بها الإنسان . والفتنة في حد ذاتها ليست مذمومة إنها إختبار فالناجح فيه يسعد بتوفيق الله له . والراسب فيه هو من لم يستفد بما وهبه الله من إمكانيات

وهناك من يرفض تعلم أساليب تسخير الجن حتى لايفتن فى أمر دينه ، وهناك من يقول سأتعلمه لأستعمله فى الخير فقط

نهاية من يشتغل بالسحر

فى دروس الحياة وعبرها أن الذى يتعلم هذه الأشياء لايستطيع أن يفيد بها نفسه إن رزقه يأتيه ممن لا يعلمه . ومعيشته تكون على حساب من لا يعرفهم، وحياة من يتعلم هذا الأمر غير مستقرة ، وأموره مختلة فيصدق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِن الْإِنسِ يَعُوذُون بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[1] الرجال الذين يستجيرون بالجن ، ويستعينون بهم تنقلب حياتهم إلى إرهاق ، مع أن الذى يستجير بالجن كان يرغب لنفسه الإستقرار ، فإذا به غارق فى عدم الراحة . والحق سبحانه وتعالى يستطيع أن يعطى الأقوى فى القوة - وهو الإنسان - القدرة التى يسخر بها الأعلى وهو الجن ، وذلك حتى لاتكون عنصرية التكوين هى الحاكمة

إننا لم نجد أحدًا قد اشتغل بمثل هذا الأمر إلا وقد مات على فقر ، وهناك نصابون يدعون ذلك العلم . وليس لهم منه شيء ولكنهم يعانون أيضًا من إرهاق الحياة . ولذلك يقال إن كل من يتعلمه يصبح كافرًا لماذا ؟ لأن الإنسان لحظة التحمس للتعلم قد يكون مؤمنًا . ولكن لحظة الأداء فغالبًا ما تغريه القوة فيستخدمها فيما يضر به نفسه ومن حوله وفى هذا كفر بالخالق الأكرم

تعلم السحر كفر لأنه يخل بمبدأ تكافؤ الفرص . وقد يتعلمه أحد بدعوى الخير . ولكن لايعلم أى شرور قد تصيب الآخرين من جراء ذلك . وإن الإنسان

(١) من الآية ٦ سورة الجن

لايضمن نفسه . لذلك لانجد فردًا ممن إشتغلوا بالسحر إلا وعاش فى بؤس الأحوال ، ويحكم عليه الحق بأن يظل أضعف من غيره فى رزقه وطعامه ومشربه.. لماذا ؟ الله سبحانه وتعالى أردا ذلك الأمر ليوضح لنا أن أحدًا لا يستطيع أن يحتال على قدر الله

الوقاية من السحر

الله سبحانه وتعالى عصم أمة محمد ﷺ من أن يسترق الشيطان السمع للقرآن ، ولم يبقِ من السحر إلا الذى تعلمته الشياطين عن طريق الملكين – هاروت وماروت – والملكان اللذان يعلمانه يؤكدان أن كل من يتعلمه يذهب إلى الكفر ، الله سبحانه قد أبقى هذا الجزء من السحر فتنة فى الأرض . والحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ وَمَاهُم بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[1] .. فالخالق يعلمنا أن نستعيذ به من هؤلاء وذلك بالإيمان بطلاقة قدرته فى أن نقول..

« اللهـــم إنك أردت فعلمت ، ولكنك احتفظت بـــالإذن فى الضرر لك ، فأسألك بما احتفظت به أن تكفينى شر ما علمت » .

الإنسان المؤمن يلجأ هنا إلى الخالق لينجيه من إبتلاء الفتنة ، وألا يناله ضرر مما صنع السحر لأنه لا أمر يضر الإنسان إلا بإذن الله ، وإن كيد السحرة يرتد إلى نحورهم وينالون وزر نيتهم فى عمل السحر .

والإنسان بعد هذا الدعاء يقرأ قول الحق سبحانه بتلاوة سورة الفلق ..﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ .. ثم يتبع ذلك بقراءة سورة الناس .. ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

إذًا لو لجأ الإنسان الذى يعانى من ضرر السحر ، وفهم أن ميزانه قد

(١) من الآية ١٠٢ سورة البقرة

اختل . ونظرته للأمور قد اختلت ، فما عليه إلا أن يسأل الله بيقين صادق أن يرفع عنه شر الضرر ﴿ وما هُم بضارّين به منْ أحَدٍ إلا بإذن اللّه ﴾

والسؤال لله باليقين الصادق أن يرد كيد الساحر في نحره . لكن السحر لايزول أثره عن الذين لا يواجهون مثل هذا الأمر بيقين وكبرياء الإيمان ، ولذلك يترددون من ساحر الى آخر . وبعضهم يلجأ إلى حاخامات اليهود ليفكوا طلاسم السحر، رغم أن الله سبحانه أوجد لنا في الدعاء باليقين الصادق ما ينجينا من كرب تلك الأمور صحيح أن العقل قد يقف متحيرًا أمام بعض من تلك الأمور، وصحيح أيضًا أن وقوف العقل أمام مثل هذه الأمور هو فرصة لعبادة الحق سبحانه وللجوء إلى اليقين الإيماني الحق



الكبيرة الثانية

اليأس من روح الله

اليأس هو إنقطاع الأمل فى حدوث شىء ، وإننا عندما ندرك أننا لا نملك القدرة على إحداث الشىء الذى نزع منا .. نيأس ، ولكن الإنسان المؤمن لاييأس أبدًا عندما تنزع منه النعمة لأنه يعرف بأن اللّهِ سبحانه وتعالى سيعوضه بأحسن منها .. ﴿ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]

وإذا كان اليأس معناه إنقطاع الأمل فى حدوث أمر تريده ، وليس عندك الوسائل التى تحققه ، فالإنسان الذى ييأس عندما تنزع منه النعمة هو الذى لايؤمن بالله ، لأن المؤمن حين تنزع منه النعمة يرفع يديه إلى السماء ويطلب من الله أن يعوضه خيرًا مما سلب منه ، ولكن الذى لايؤمن بالله ، إذا نزعت منه النعمة يدخل اليأس إلى قلبه وقد ينتحر أو يرتكب جريمة أو يفعل أى شىء ، ولذلك قرن الله سبحانه وتعالى اليأس بالكفر .

أيها الإنسان .. إنك مادمت مؤمنًا بالله فلا تيأس أبدًا من رحمة الله عندما لا يمدك بفضله ، ولا أن يبدل النعمة بخير منها ، وإعلم أن لك رصيدًا عند الله سبحانه . تمامًا مثل الإنسان الذى يحمل فى جيبه جنيهًا لو أنه سرق منه يحس أن مصيبة قد حدثت ، فإذا كان عنده غيره مائة جنيه فإنه لايتأثر ، ولذلك فالإنسان ييأس عندما يعبد قوته وذاته ، ويعتقد أنه يأتى بالنعمة بأسبابه ، ولكن إذا أيقن أن النعمة من الله ، وأن نعم الله سبحانه لاتعد ولاتحصى يعرف أن له رصيدًا كبيرًا عند خالقه ، بحيث يستطيع أن يعطيه من النعم ما يعوضه عما فقد.

---

(١) من الآية ٨٧ : سورة يوسف

الإنسان عندما يكون عندة النعمة لايؤدى حقها من الشكر . ولايتنبه إلى أن للنعمة واهبًا ، وهو الله سبحانه وتعالى . ومادام الحق سبحانه هو الذى وهبها وهو الذى سلبها فعندما وهب كانت هناك حكمة ، وعندما سلب كانت هناك حكمة أيضًا

الروح هى الرائحة . وإن الروح التى لاتيأس من روح الله يعطيها الله صلابة إيمانية لاستقبال أحدث الحياة لأن الحياة أغيار . وأحداثها متعددة ، وللعالم وللكون الظاهر سنن مترتبة فى المؤمن بإله قوى يخرق الأسباب

إذًا .. فاليأس من روح الله معناه أنه جعل قوة الله العليا التى خلقت النواميس متساوية مع النواميس ، بحيث إذا عزت الأسباب البشرية فى شيء يئس من الحياة. وموقف المؤمن يختلف لأنه مؤمن بإله قادر فوق كل الأسباب أما الذى ييأس من روح الله فإنه يعطل طلاقة القدرة على النواميس الكونية

وقد وضح الله لنا عدم اليأس من روح الله حتى يقول لنا : أنا الله خالق هذه النواميس فأنت أيها العبد ترى النواميس أمامك ، ومعك أسبابك ، ولكننى أنا أريد أن أوجد لك فيها مخرجًا فأخرق لك النواميس أما الذى ييأس من روح الله فهو الذى يسوى بين الله بطلاقة قدرته مع النواميس وكأن الله لايقدر - والعياذ بالله - على خرق النواميس



الكبيرة الثالثة

أمن مكر الله

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١) ..

البأس هو الشدة التى يؤاخذ بها الحق سبحانه وتعالى المكذبين لمنهجه ، والله يخاطبهم ويقول لهم : أفأمنتم أن يأتيكم العذاب بغتة ، كما أتى قوم نوح، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط ، وقوم شعيب الذين أنبأناكم بما حدث لهم.. هل أمنوا أن تصيبهم الأهوال التى أصابت الأمم التى سبقتهم . الحق سبحانه وتعالى يتكلم عن الأحداث ولايغفل ما تتطلبه الأحداث من زمان ومكان ، وكل حدث لابد أن يكون له زمان ومكان ، المكان .. القرى التى يعيش فيها هؤلاء المكذبون ، والزمان أن يأتى البأس ليّلا وهم نائمون أو نهارًا وهم يلعبون ، لأنه حين يأتى البأس إما أن يكون هؤلاء الناس فى جزء من الأرض المواجه للشمس فيكون .. نهارًا ، أو فى جزء من الأرض غير المواجه للشمس فيكون .. ليلاً . وهكذا يريد الحق سبحانه وتعالى أن يقول لخلقه : إياكم أن تأمنوا عذاب الله ، سواء كنتم فى الجزء النهارى من الأرض ، أو كنتم فى الجزء الليلى منها ، ففى أى لحظة يمكن أن يأتى العذاب .. فلا أمان من عذاب الله ، ولذلك يقول الحق سبحانه فى حديثه القدسى .. « إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل » .. أى ليل ، وأى نهار ؟ .. الليل والنهار دائمًا موجودان على الكون معًا . إذًا .. الله سبحانه وتعالى يبسط يده دائمًا

(١) من الآيات ٩٧/٩٩ :سورة الأعراف

ليتوب المسيء ، ولايقبضها أبدًا ، لأنه فى كل لحظه يبدأ ليل ، وينتهى نهار فى الكون .

الله سبحانه وتعالى يخاطب أهل القرى المكذبين الذين لم يؤمنوا برسول مُبَلِّغ عن الله ، ولم يؤمنوا بمنهج الله ، وهؤلاء موجودون على حالتين الأولى : إما نائمون ليلا ، والثانية : مستيقظون نهارًا .. فإذا ناموا ليلًا آتاهم العذاب بالليل ، وإذا أقاموا نهارًا لايتبعون منهج الله ، فحركتهم غير مجدية وغير نافعة، بل هى لعب ولهو لايفيد .

وكل من يسير على غير منهج الله فحركته غير مجدية وغير نافعة وهو إما نائم ليلا ، وإما يلعب نهارًا ، وعلى أننا نلاحظ قول الحق سبحانه .. «أفأمنَ».. وقوله .. « أو أمن » .. فإذا رأيت الهمزة ، وبعدها الفاء ، وبعدها الفعل نقول لك : إن هذه همزة إستفهام ، والفاء تعقيبية ، أما الواو فللجمع ، والفاء تستلزم معطوفًا ومعطوفًا عليه ، والواو تستلزم معطوفًا ومعطوفًا عليه ثم دخل الإستفهام عليها ، ومعنى ذلك .. هل نسى أهل القرى ما حدث للمكذبين الذين سبقوهم، ونسيانهم هذا جعلهم يأمنون أن يأتيهم بأس الله وهم نائمون أو وهم يلعبون .

هل يأمنون مكر الله

الأمن هو الإطمئنان إلى قضية لاتثير فى النفس المخاوف ، حيث يقال : فلان آمن .. أى ليس فى حياته شىء يخشى منه ، وبعض الناس يقول : إن المكر سىء .. نقول : لا .. هناك مكر سىء ومكر فيه خير ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه .. ﴿ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ ﴾[1] .. أما المكر الذى فيه خير وذلك فى قول الله سبحانه .. ﴿ واللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[2] .

المكر أصله الإلتفات .. فالإنسان حين يذهب إلى غابة يجد شجرًا ملتف الأغصان ، ولايستطيع أن يتبين من أى فرع نبتت الورقة التى أمامه ، لآن الأغصان

(١) من الآية ٤٣ : سورة فاطر
(٢) من الآيه ٥٤ : سورة آل عمران

ملفوفة على بعضها ، وهذا ظاهر فى النباتات المتسلقة ، ولـذلك لاتعرف الغصن الذى نبتت منه الورقـة .

إذًا .. فالمكر معناه أن تلتف المسائل على بعضها فتصبح غير واضحة .. لماذا ؟ .. لتتمكن من خصمك ، لأن خصمك لايفطن إلى ما تخفيه ، ولـذلك فإن الإنسان الماكر يبيت لأخيه الشر ويظهر له الخير ، ولكن هل الإنسان عنده العلم الواسع الذى يجعله يخفى الشر الذى يبيته عن خصمه فلا يفطن إليه ؟.. لا .. قد يكون الخصم شديد الذكاء فيفطن إليـه .

الحق سبحانه وتعالى لايصل إلى علمه أحد ، ولـذلك لايمكن أن يفطن أى إنسان إلى ما يخفيه الله عنه ، ولكن هذا المكر من الله هو لأهل الشر ، ولـذلك يكون المكر خيرًا . والحق سبحانه فى قولـه .. ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّـهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[1] .. ذلك يجعلنا نتساءل .. هل الأنبياء آمنوا مكر الله ؟ .. نقول: نعم .. آمنوا بإصطفاء الله لهم برسالاته . إذًا .. فكيف يقال : ﴿ فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّـهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .. نقول : إن هـذا ينطبق على المتبعين للمنهـج ، والمكذبين به ، ولاينطبق على الرسل لأنهم هم حملة المنهج .. فالذى يأمن مكر الله من غير الرسل هـو الخاسر .



(١) من الآية ٩٩ : سورة الأعراف

عقوق الوالدين

الوالدان هما الخلية الأولى التى يتواجد منها الإنسان ، فالوالدان هما السبب المباشر فى إيجاد الإنسان ، فإذا ما ارتكب الإنسان حماقة العقوق للوالدين ، وهما السبب المباشر لوجود الإنسان ، هنا يكون الإنسان قد عق السبب الأول لوجوده وهو الله .

السبب الأول لوجود الإنسان هو الله الذى لم يره الإنسان ، لكن الإنسا رأى والديه ، ولذلك فإن الإحترام والبر جاءا تقديرًا لهما لأنهما سببٌ للوجود، وهذا يدلنا على أن الإنسان يجب عليه أن يحفظ الجميل لمن كان سببًا للإيجاد، وعندما نرتقى بهذا للذى أوجد الأب والأم والجد والأجداد وكلها إلى آدم وحتى يتصل الإنسان بمن لانهاية له فيجب أن يحفظ له الجميل قال الله .. ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهِ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(١) .. ولنر هنا منزله الوالدين فى منهج الله .. إن الخطاب لمكلف ، والتكليف فرع الوجود ، والوجود له سبب مباشر هو الوالدان ، والوالدان قد جاءا من الأجداد حتى نصل إلى آدم وحواء اللذين خلقهما الله .. عملية الوجود تنتهى إلى الواحد سبحانه وتعالى . ولأن التكليف من الواحد سبحانه وتعالى ، فالمكلف هو العبد وهو فرع الوجود ، والوجود له سبب ظاهرى هو الوالدان .

---

(١) من الآية ٣٦ : سورة النساء

عدم الأخذ بالكبيره
دخول إلى مقام الإحسان

المسلم عندما يأتى للسبب المباشر لوجوده فسوف يصل إلى السبب الأعلى للوجود ، والسبب الأعلى للوجود قال : اعبدنى ولاتشرك بى شيئًا ، وتحدث عن الوالدين وهما السبب المظهرى للوجود فقال .. ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾.. والإحسان يدل على المبالغة فى العطاء الزائد ، ونحن نسميه مقام الإحسان .

الحق سبحانه وتعالى حينما قرن الوالدين بعبادته لأنه إله واحد لاشريك له لم يحدد هل هم على دين الإبن أم على غير دين الإبن ، ولكن الحق يقول .. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١)

الله سبحانه وتعالى قد احترم السبب المباشر فى الوجود وإن كان مخالفًا للسبب الأعلى فى الوجود لذلك جاء قول الحق .. ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾(٢) .. ومعروف توضح لنا أنه ما يصنعه الإنسان فى من يحبه وفى من لايحبه ، إنه تحذير بعدم التعلق بالوالدين إن كانا مشركين..﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾.. أى أنه على الإبن المؤمن أن يدير مصلحة والديه فى أمور الدنيا بالمعروف منه.

والحق سبحانه وتعالى فى آيات متعددة يقول

.. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(٣).

.. ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾(٤) ..

.. ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

(١) من الآية ٨ : سورة العنكبوت
(٢) من الآية ١٥ : سورة لقمان
(٣) من الآية ٨٣ : سورة البقرة
(٤) من الآية ٣٦ : سورة النساء

إِحْسَانًا ﴾[1] ..

.. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[2] ..

.. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾[3] ..

.. ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4]..

إن الحق سبحانه وتعالى يريد منا أن نعامل الوالدين بالمعروف فى حالة شركهما بالله ولذلك يقول .. ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾[5] .. والحق سبحانه قرن عبادته بالإحسان للوالدين .

ما الفرق بين الإحسان والحُسْن ؟ .. علينا أن نعرف أن هناك إحسانًا ، وهناك حسن . الإحسان هو أن تفعل فوق ما كلفك به الله مستشعرًا أنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . إن الإحسان من أحسن ، ومعناه أن العبد قد ارتضى التكليف وزاد فيه ، وعندما يزيد الإنسان عما كلف الله فيصلى الخمسة فروض ويزيد عليه السنن وصلاة التهجد ، أو يزيد عن صوم رمضان صوم الاثنين والخميس، أو يصوم أشهرًا ، ولا يكتفى بالزكاة بمقدار ٢,٥٪ ولكن يزيد إلى ٥٪ أو ١٠٪ ، وبدلاً من أن يحج مرة يحج مرتين يكون قد أحسن فى محله.

إذًا .. فالمسألة أن يزيد العبد عما افترض الله فيدخله الله فى مقام الإحسان، لأن العبد المؤمن حين جرب أداء الفرائض فتحلو له ، ويعلم مما أفاض الله عليه من معين التقوى ومن رصيد قوله .. ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾[6] .. لذة

(١) من الآية ١٥١ : سورة الأنعام

(٢) من الآية ١٥ : سورة الأحقاف

(٣) من الآية ٨ : سورة العنكبوت

(٤) من الآية ٨ : سورة العنكبوت

(٥) من الآية ٢٢ : سورة المجادله

(٦) من الآية ٢٨٢ : سورة البقرة

إحسان العمل .

الحق سبحانه وتعالى يحذرنا من أن نقوم مع والدينا بالقدر المفروض ، ولكن أن يدخل العبد فى البر بهما ، والإنعام عليهما ، والتلطف بهما ، والرحمة لهما ، وذلة الإنكسار فوق ما يطلبان من العبد ، وبذلك يدخل العبد فى مقام الإحسان ، ويصف الحق سبحانه وتعالى ذلك الإحسان بشيء آخر وهو الحسن حيث يقول .. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ ..

الحق سبحانه وتعالى أدخلنا فى مقام الإحسان مرة ، وأدخلنا فى مقام الحسن - الجمال - مرة أخرى ، ولكن العبد المؤمن عليه أن يلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما وصى الإنسان بوالديه وهما-الأب والأم . فهنا أمور يجب ألا تغيب عن بال المسلم هى ..

الأولــــى : الشائع والغالب أن الوالدين يربيان إبنهما ، وفى النادر أن يصبح الولد يتيمًا ويربيه غير والديه ، فقال الحق لتلحظ أيها العبد أنهما سبب الوجود ، والتربية ، وبعد الوجود فيجب أن تعطيهما حقوقهما وما فوق حقوقهما وذلك لتدخل فى مقام الإحسان .. ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1] .. الله سبحانه قد جاء بالتربية كحيثية للدعاء لهما للبر بهما ، ولذلك فلو أن إنسانًا أخذ فى العبد منزلة التربية ولم يأخذ فيه سببيه الإيجاد، فله الحق على العبد أن يكون كوالد .. بذلك ، التربية لها حظ أيضًا فمن ربى إنسانًا فلابد أن يأخذ حظ والديه .

الثـانيـة : الحق سبحانه وتعالى حينما وصّانا بالوالدين إحسانًا جاء فى الحيثيات بما يتعلق بالأم ولم يأت بما يتعلق بالأب .. ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾[2] .. فهذه حيثيات وردت للأم وترك

(١) من الآية ٢٤ : سورة الإسراء

(٢) من الآية ١٥ سورة الأحقاف

الأب بدون حيثية ، لأن إحسان الوالدة بولدها وجد قبل أن ينزل الولد إلى الدنيا بالميلاد .. فقد حافظت على نفسها ، وصارت تمشى فى الحياة بحساب ، وانشغلت بما فى بطنها ، وكل مطالب الوليد قبل أن يكون له عقل وفكر تقضيها له الأم، والأب يظل بعيدًا ولا يعرفه إلا عندما يبدأ فى تربيته لكفاح الحياة . وفى أثناء الخدمات التى أدتها الأم للطفل لم يكن للطفل عقل يدرك ، وكلما أراد شيئًا يقال له : سيحضره لك أبوك .. وينسى الطفل الحمل والرضاعة والسهر . إذًا .. فمن الذى يحتاج إلى حيثية الإهتمام إنها الأم . أما حيثية إكرام الأب فهى موجوده لأن الإبن قد رأى كل ما فعله الأب .

الإبن لا يعرف تعب الأم ، وعندما يتنبه فهو يجد أن الوالد هو القائم على المطالب ، والأب هو الذى فى ذهن الإبن كمصدر للعمل . فالحيثيه عند الإبن ظاهرة ، والأم حيثيتها مختفية عن ذهن الطفل ، فكان لابد أن يذكرنا الله بالحيثية المتروكه عند الإنسان مكتفيًا بأن حيثية الأب موجودة عند الإبن ، ولذلك نجد النبى ﷺ حينما يوصى قال : أُمك .. فسأله الصحابى[1]: ثم من ؟ .. قال الرسول: ثم أمك .. فسألة الصحابى : ثم من ؟ .. فقال الرسول : ثم أمك .. فسأل الصحابى : ثم من؟ .. فقال الرسول : أبوك .

والحق سبحانه وتعالى قال .. ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾[2] .. فهذا أمر من الحق بأن يقضى الإبن مصالح والديه فلا يمنعه شركهما عن القيام بأداء مصالحهما بالمعروف ، فالأب والأم المشركان قد ربّيا للإبن جسده ، ولم يربيا قلبه وإيمانه.. فشرك الأب والأم مانع عن طلب الرحمة لهما .

(١) حديث أخرجه البخارى ومسلم فى باب البر والصله والآداب ، وباب بر الوالدين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ونص الحديث

(٢) من الآية ١٥ : سورة لقمان

الكبيرة الخامسة

قتل النفس

القتل هو نقض بِنية الكائن الحى ، ونقض البنية ليس هو الموت .. فالموت هو أن يموت الإنسان وبنيته سليمة ، فَضَرْبُ إنسانٍ على رأسه فيقتل ، فهذا نقض للبنية، أى جعل الجسد غير صالح لبقاء الروح فيه .. إن نقض البنية يعتبر قتلا سواء بضربةٍ أو بغيرها . أما الموت فهو سلب الحياة بدون نقض البنية وهذا لايصنعه إلا الله . أما القتل فهو إذهاب حياة البنية ، لأن الروح لاتستقر إلا فى جسد صممه خالقه بأسلوب معين ، فعندما يحدث خلل فى الجسد تخرج منه الروح .

وليس معنى ذلك أن القتيل لم يكن ليموت فى نفس اللحظة ، ذلك أن أجله مكتوب ومحدد ، لكن تدخل الإنسان فى بُنْيان الله فهدمه ، ولو لم يتدخل إنسان في بنيان الله فهدمه ، لكان أجل القتيل قد جاء . القاتل يتم عقابه لأنه تدخل فى هدم البنية ، ونحن نعرف أن الروح لاتحل إلا فى جسم له مواصفات خاصة ، هذه المواصفات الخاصة هى أن يكون المخ والقلب سليمين ، وهذه المواصفات أعدها الله سبحانه وتعالى ، والحق حين يأذن بموت أحد تكون المواصفات مستوفاه ، وبعد ذلك يقضى الأجل فيموت دون نقض البنية ، ولذلك فالنبى ﷺ يقول: « ملعون من ضار مؤمنا أو مَكَرَ بِهِ »[1] .. ولنضرب لذلك مثلا لنقرب للأذهان ، ولله المثل الأعلى . وهو أن الروح مثل الكهرباء .. الإنسان لا يعرف الروح بأى وسيلة من وسائل الإدارك ، ولكن الإنسان يعرف أن الروح هى التى تدير حياة الجسم كله بدليل أن الحق سبحانه حين ينزعها يصبح الجسم بعد

(١) أخرجه الترمزى بسند صحيح

ساعات مجرد رمة

الروح خلقها الله كدليل ذاتى فى النفس البشرية على وجود إله لا تدركه الأبصار حيث يقول قائل. نحن لانرى الله ، نقول. نعم ، ولكن قول الحق . ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[1] أين روحك التى تدير جسمك ما شكلها، ولونها ، ورائحتها ؟ هذه الروح موجودة فيك ولاتراها ، فكيف تطلب أن ترى الله ؟! وقد خلق شيئًا لم تقو على أن تراه إن الروح مخلوقة وأنت عاجز عن رؤيتها فكيف تجترىء على طلب رؤية الله الخالق ؟ إن من عظمة الله أنه لايُدْرَك

الإنسان قد يكون فى بيته كهرباء ، ولكن المصباح غير سليم فلا يوجد نور، لكن عندما يأتى بمصباح سليم فإنه يأتى الضوء ، كذلك الروح لا تظهر إلا فى جسم له مواصفات خاصة . إذًا . فعندما يَقْتل إنسان آخر ، فهذه شهادة منه أنه أعجز من خصمه .. الإنسان قد يملك مسدسًا يقتل به إنسانًا آخر ، وهذا مظهر قوة بشرية حمقاء ، لكن الواقع يؤكد أن ذلك القاتل إنسان عاجز ، لأنه بمجرد قتله إنسانا ونقض الحياة له ، فقد أعلن أمام الناس جميعًا أنه لا يستطيع أن يواجه حركة الحياة للقتيل ، ولا يرتاح إلا بقتله ، وهذه شهادة بعجز القاتل. لكن لو احتفظ الإنسان بإتزانه لما قَتَلَ خصمه ، لكن القاتل مقهور بالعجز من مواجهة حركة حياة القتيل فلو علم بعجزه لإمتنع عن القتل

وحين يحمى الله – سبحانه – النفس الإنسانية من أن يُنْقَضُ بنيانها ، فإن الحق بحمايته النفس البشرية أنه يحمى للخلافة التى أرادها الله فى الكون حتى لا تتعثر ، وأيضًا حتى لايعطى الله للناس تشككًا بأن بشرًا يستطيع أن ينهى حياة بشر ، وهذه مسألة من إختصاص الحق الأعلى سبحانه وتعالى

العدل والفضل

الحق سبحانه وتعالى يبلغنا أنه مكتوب علينا القصاص ، والقصاص قد يكون

(١) من الآية ٢١ سورة الذاريات

للإنسان إذا كان وليًا لقتيل ، أو يكون على الإنسان إذا كان قاتلا فإذا كان الإنسان مقتولا أو ولياً لقتيل فله القصاص ، وإن كان قاتلا أو وليًا لقاتل فعليه القصاص الحق يشرع للناس أجمعين ، ويراعى مصلحة كل خلقة ، وكان العرب فى الجاهلية لا يُسوون بين العباد ، فإذا قتل إنسان إنسانًا آخر ، فأهل القتيل يقتصون لأنفسهم قصاصًا ظالمًا ، فيعتبرون الشريف منهم أكثر من إنسان ، وقد يعتبرون ذلك أمرًا ضروريًا . لكن الإسلام جاء بالمساواة فلا تفرقة بين إنسان وإنسان، ولذلك كان الحر بالحر، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، والنفس بالنفس.

الرسول الكريم ﷺ يقول: « المؤمنون تتكافأ دماؤهم وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم لكافر »(1) .. لذلك نجد أن الحق سبحانه يراعى مصلحة كل الخلق، وعلى سبيل المثال نحن نجد أن عقد الربا غير صحيح .. لماذا ؟ .. لأن عقد الربا يحمى مصلحة الدائن رغم أن الأساس فى أى عقد أن يحمى الطرفين بل إن عقد الربا يطلب أيضًا من المدين أن يؤدى الدين وزيادة ، لذلك فلا عدالة فيه .

لقد كتب الله علينا القصاص لصالحنا ، وما معنى القصاص ؟ .. القصاص هو أن نأخذ من الظالم القاتل حق القتيل المظلوم .. الحر بالحر ، الحر لايجوز أن يقتص منه بعبد لماذا ؟ . لأن العبد مملوك لآخر ، والحر فى الشىء له الخيار الحر فى الإنسان هو الذى لا يتحكم فيه أحد . والحر فى البقول هو ما يأكله الإنسان دون أن يحتاج إلى طهى أو إعداد كالبندق والفستق مثلا ، وهنا يجب أن نتنبه إلى واقع النص القرآنى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ

(1) روى البخارى عن على كرم الله وجهه أن أبا جُحيفة قال له : « هل عندكم شىء من الوحى ماليس فى القرآن ؟ . قال : لا ، والذى خلق الجنة وبرأ النسمة إلا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن وما فى هذه الصحيفة . قلت : وما فى هذه الصحيفة ؟ قال المؤمنون تتكافأ دماؤهم وفكاك الأسير والا يقتل مسلم لكافر .. هذا نص الحديث الذى رواه الإمام على بن ابى طالب عن رسول ﷺ والمقصود به ما فى هذه الصحيفة ».

فمن اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].. لماذا ؟

العرب كانوا قبائل . وكانت القبيلة إذا قتل لها عبد فإنها تأخذ بثأره من سيد القبيلة الأخرى ، وإن قتلت لها انثى اخدوا برأس واحد من كبار رجال القبيلة والحق سبحانه وتعالى أراد أن يضع التشريع الذى لا يجعل دم العباد مهدرا بينهما أثناء غيظ أو مرارة فقدان أحد منهم . لذلك وضع قاعدة ، تضمن لهم وتضع عليهم قيد ، وبذلك سوّى الحق سبحانه بين النفس والنفس ونحن عندما نسمع كلمة قصاص وكلمة قتل فلنا أن نعرف الظروف المحيطة حيث أن النفوس فى مثل هذه الحالات تكون فى حالة غيظ وبغضاء وكراهية ويريد الحق سبحانه أن ينزع الضغن الثأرى من نفوس المؤمنين فقد أباح القصاص . وهو حق للمؤمنين، ولكنه ينقل الأمر الحكيم إلى مرتبة أرقى فى الإيمان وهى العفو وذلك لينقلنا من النفس المشحونة بالبغضاء والكراهية إلى النفس المؤمنة الآمنة ﴿ فمنْ عُفِىَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ والحق سبحانه يذكرنا بالأُخوّة الإيمانية ليرتقى بالإنسان إلى أفضل نسب ، وهو نسب السلوك الصالح المتبع لمنهج الله ، وهذا النسب الإيمانى يوضحه الحق سبحانه فى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[2].

الحق سبحانه وتعالى يحث صاحب القصاص أن يعفو ، وأن يصل إلى التيقن من أُخوّة الإيمان التى تقتضى العفو من صاحب الثأر ، وتفرض الآداء بإحسان على المطلوب منه الدية . وفى ذلك حقن للدماء فإذا عرض أهل القاتل الدية، فلأهل القتيل أن يعفوا عن جزء منها ، والحق سبحانه قد ترك أمر القصاص واضحًا ، ووضع أمر القصاص فى يد المظلوم حتى يعرف القاتل أن بقاء حياته إنما هى ثمرة من ثمرات إحسان أخية المؤمن وبذلك تزول البغضاء ، وتنمو روح الإحسان فى المجتمع الإيمانى .

الحق سبحانه وتعالى يشرع القصاص ويطلب اللطف فيه حتى يجعل أمر إنهاء

(١) من الآية ١٧٨ : سورة البقرة

(٢) الآية ١٠ : سورة الحجرات

القصاص فضلا من ولى الدم إذ البعض يقول ولماذا القصاص ؟ .. ونحن نقول : هل يمكن أن يترك الحق دماء خلقه مستباحة ، فيقتل الباطل الحق دون عقاب ؟.. إننا نعرف أن العفو قد شرعه الله ليمنع الجرم لا ليقع الجرم ، ولذلك يضع الحق فى نصابه إذ يقول ..﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] .. أى إنسان إذا ما اعتدى بعد العفو ، فليس له عقاب فى الدنيا فقط ، ولكن عقاب في الآخرة أيضًا . إذًا .. يشرع الحق القصاص ..﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2] .. إياك أن تقتل أحدًا لأنك ستُقتَل إن قتلته ، وفى هذا أمر لكل مسلم أن يعصم نفسه من القتل . إذًا .. فتشريع القصاص هو إستبقاء للحياة ، ومنع للقتل ، وهو التشريع العادل الصادر من إله عليم وحكيم.

الديّة

الحق سبحانه وتعالى فى تصفية الغضب يضع الدّية مكان القصاص بالقتل . إن الدية التى سيأخذها أولياء الدم من القاتل قد يصح أن تكون مؤجلة الدفع ، فقد يكون القاتل أو أهله فى عُسْرَةٍ ، ولا يقدر القاتل أو أهله على السداد الفورى عنه ، لذلك فعلى الذى يتحمل الدية أن يؤديها ، وعلى أهل القتيل أن يتقبلوا ذلك بالمعروف . وأن تؤدى الدية من أهل القاتل أو من القاتل نفسه بإحسان . الحق سبحانه ينبه إلى أن أولياء الدم إذا قبلوا الدية فمعنى ذلك أن أهل القتيل قد أسقطوا القصاص عن القاتل ، وأنهم وهبوه حق الحياة . لذلك فإن الأمر يجب أن يرد بتحية أو مكرمة أحسن منه . كأن الحق لايريد من أولياء الدم أن يرهقوا القاتل أو أهله فى الإقتضاء ، والحق سبحانه يريد أن يؤدى القاتل أو أهله الدية بأسلوب يرتفع إلى مرتبة العفو الذى ناله القاتل . وفى ذلك تخفيف عما جاء بالتوراه ، ففى التوراة لم تكن هناك دية يفتدى بها القاتل نفسه ، بل القصاص هو قتل إنسان مقابل إنسان آخر ، وفى الإنجيل لادية لأن هناك مبدأ محبه أراد

(١) من الآية ١٧٨ : سورة البقرة
(٢) من الآية ١٧٩ سورة البقرة

به أن يتسامى أتباع عيسى عليه السلام على اليهود الذين انغمسوا فى المادية

الإسلام جاء دينًا عامًا جامعًا شاملاً ليثير فى النفس التسامى . ويضع الحقوق فى نصابها فأبقى القصاص وترك للفضل مجالاً .. ﴿ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. ففى ذلك إعتداء . ومن يعتد بعد أن يسقط القود[1] ويأخذ الدية فله عذاب أليم . وحكم الله هنا بالعذاب الأليم ، وذلك أن المعتدى من بعد ذلك لا تقبل منه دية ويستحق القتل عقابًا ، ولايرفع الله عنه عذاب الدنيا أو الآخرة .

الحق سبحانه وتعالى يرفع العقاب والعذاب عن القاتل إذا قُبِلَ القصاص منه، أو إذا دفع الدية ، لكن الحق لا يقبل سوء استخدام الفرص التى أعطاها الحق للخلق ليرتقوا فى علاقاتهم الحق سبحانه لا يقبل أن يتستر أهل القتيل وراء العفو ليقتلوا القاتل بعد أن أعلنوا العفو عنه . لأن ذلك عبثٌ بما أراد الحق سبحانه منهجاً بين العباد

القتل الخطأ ودفع الدية

عندما يفاجأ الناس بفرد يُقْتَلْ عن طريق الخطأ الفاعل معذور ، ولكن هل عذره تعدى إلى أن الآخر قد قتل ؟ نعم إن الأثر قد حدث ، وتحدث هزة للأقرب له فى الإنتفاع والقتل الخطأ لا يستوجب القصاص من القاتل ، ولكن عليه أن يدفع الدية ، وهذه الدية تورع على الناس الذين تأثروا بفقدان حياته لآن هناك أمرين.

الأول : بسط النفع

الثانى : قبض الضر

الإنسان حين يرى شيئًا سينفعه فإن النفس تنبسط ، وعندما يرى الإنسان شيئًا سيضره ، فإن النفس تنقبض فساعة أن يأتى الإنسان خبر موت عزيز

(١) القود القصاص

عليه فإنه ينقبض نفسيًا ، وساعة أن يأتيه بعد ذلك حصوله على جزء من دية القتيل فإن النفس تنبسط .

القتل الخطأ لا يتم القصاص فيه ، ولكن الأثر الحادث عن القتل يتم علاجة بالديه ، والدية بحكم الشرع تأتى من العاقلة -الأسرة أو العائلة أو القبيلة- وبشرط ألا تؤخذ من الأصول والفروع ، فلا تجتمع عليهم مصيبة فقد تم إرهاق المشاركة فى الدية . كأن التشريع أراد أن يعالج الهزة التى حدثت بالقتل الخطأ بعلاج هو وقاية من رد الفعل فيعود التوازن إلى المجتمع . ومن يقتل خطأ فالقاتل لايدفع الدية وحده ، ولكن تدفعها العائلة . العائلة إذا ما علمت أن من يجنى من أهلها جناية فإنها ستتحمل معه ، فإنها تُعَلِّمُ أفرادها فن صيانة حقوق الغير ، وبذلك يحدث التوازن فى المجتمع .

الله سبحانه وتعالى يعلمنا أن نستبعد أن يُقْتَل مؤمناً إلا عن خطأ ، فلا يمكن أن يحدث ذلك عمدًا .. ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلا خَطَأً﴾[1] .. ذلك أن مثل هذا لا يمكن أن يحدث عن قصد ، لأن البيئة الإيمانية تمنع هذا ، ولا يكون هنا قصاص ، ولكن هناك أسلوباً آخر هو ما بينه الله فى قوله .. ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[2].. والله سبحانه وتعالى لم يأت بأسلوب القصاص.

القصاص حق للولى ، وله أن يعفو ، وله أن يأخذ الدية ، لذلك يجب أن يبين الحد ويبين القصاص ، والحد حق لله . فالقصاص للولى وله أن يتنازل فيه، أما الحدود فلا أحد يستطيع أن يتنازل عنها ، ولذلك فالقتل الخطأ يكون علاجه تحرير رقبة مؤمنه ، ولنا أن نسأل : ماذا يستفيد أهل المجنى عليه بالقتل من

(١) من الآية ٩٢ سورة النساء

(٢) من الآية ٩٢ سورة النساء

تحرير رقبة مؤمنة ؟ وهل يعود ذلك على أهل القتيل ببسط فى النفعية ؟ لا. إن البداية هنا هى فائدة المجتمع

الحق سبحانه وتعالى يضع مبدأ الدية ﴿ ودِيَةٌ مُسلَّمَةٌ إلى أهْلِه ﴾ ذلك أن الدية عندما تسلم إلى أهل القتيل الذى قتل عن طريق الخطأ تحدث البسط الذى يعقب القبض نتيجة خبر القتل . ولذلك نحن نجد أسرة قد فجعت فى أحد أفرادها بحادثة وعاشوا الحزن أيامًا ، ثم يأخذون الأوراق ويصرفون بها الدية أو التعويض مما يدل على أن فى ذلك شيئاً من السلوى ، وشيئاً من الأسوة، وشيئاً من التعويض

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يشيع التعاطف بين الناس ، وقد يقول أهل القتيل لأهل القاتل نحن لا نريد منكم دية لأن مصيبتكم فى القتيل مثل مصيبتنا فيه وكلنا أخوة فى الإيمان

الله سبحانه وتعالى يوضح ماذا يحدث عندما يتم قتل مؤمن لواحد من قوم الأعداء ؟. ها نحن سنرى عدالة التشريع الإلهى ، لنزداد يقينًا بأن الله هو رب الجميع ، فهو الذى خلق المؤمن والكافر وخالق الكل ، لذلك فالخلق -عنده- سواء ، وذلك فى قول الحق ﴿ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ أى إذا كان المقتول من قوم فى حالة عداء مع المسلمين فهو يستحق الدية ، وهنا على المؤمنين أن يفرقوا بين فرد من قوم الأعداء ، وهذا الإنسان قد يكون مؤمنًا وكتم إيمانه لأنه يحيا وسط قوم كافرين هنا لا بد من تحرير رقبة وديه مُسَلَّمَةُ إلى أهله ، حتى وإن كان بين المسلمين وبين قومه حرب.

ولكن ما الحكم إذا كان القتيل من قوم بينهم وبين المسلمين عهد ؟ ينطبق أيضًا ما ينطبق على السابقين فلابد من تحرير رقبة ، ولابد من دية مسلمة إلى أهله

أذًا التشريع شرع لثلاث حالات هى

الأولى شرع لفرد مسلم فى البيئة الإيمانيه

الثانيـة : شرع لفرد فى قوم هم أعداء للمؤمنين .

الثالثـة : وشرع لفرد قد قتل وهو من قوم متحالفين مع المسلمين .

ولكن إن لم يجد القاتل الدية ماذا يحدث ؟ .. إننا نعرف أن الدية تكون على العاقلة ، ويعنى عدم وجود القدرة على دفع الدية أن ينطبق حكم الله سبحانه.. ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾

القتل الخطأ

الحق سبحانه وتعالى هو الذى وهب الحياة ، والبنيان الآدمى من صنع الله سبحانه ، ولذلك يضع الحق التحذير فيقول : إياكم أن تجترئوا على بنيانات الناس .. وملعون من يهدم بنيان الله ، والنفس التى خلقها الله . إياكم أن تقربوها إلا بحقها أى بالحدود التى وضعها الله ، وحياة الناس ليست ملكًا للناس ، بل إن حياة الإنسان نفسه ليست ملكًا له ، ولذلك فمن يقتل إنسانًا ، إما أن يُؤْخَذَ منه القصاص ، وإن كان القتل على سبيل الخطأ فنحن نأخذ منه الدية ، أما الذى يقتل نفسه ؛ فهذا تُحَرَّمَ عليه الجنة لأن الله يحرم على الإنسان أن يقتل نفسه .

الحق سبحانه وتعالى يغار على الإنسان حتى من نفسه ، لذلك فحين شرع الحق القصاص فى القتل .. شرعه لحماية الإنسان لكيلا يجرؤ على القتل . الحق حين شرع أن القاتل لابد من قتله ، كان القصد هو الحفاظ على حياتين هما.. حياة القاتل ، وحياة القتيل . فالإنسان إن علم إنه لو قتل فسيقتل ، فالإنسان لن يقتل ، ومادام لا يقتل فهو قد حمى حياته وحياة القتيل .. ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾[1] .. والذين يحاولون فلسفة الأمور بسطحية ويقولون: إن فى هذا بشاعة، فهؤلاء نقول لهم : إن الذى يشرع القصاص لا يريد أن يقتل ، ولكنه يريد أن يحمى حياة الناس من القتل يستوى فى ذلك حياة القاتل والمقتول ، ولذلك عندما تكلم الحق سبحانه عن القتال والقتل ، أراد أن يقول تنبيها : إياكم أن تجترئوا بهذه المسائل على دماء الناس أو حياتهم .

(١) من الآية ١٧٩ سورة البقرة

والقتل الخطأ معناه أن النيه لم تتجه إلى القتل مثال دلك أن إنسانـًا يصطـاد فأخطأ التصويب وقتل إنسانـاً ، أو ضرب إنسان إنسانـاً بالة لا تقتل طفلاً ولكنها قتلته.. هنـا النيـه لا يوجـد فيهـا قتـل . ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أن يَقْتُـلَ مُؤْمِناً إلا خطـأً ﴾[1] . الحق سبحانه وتعالى يحمى بوضع القواعد التى تجعل المسلمين على بينة من أمرهم ، فمن الممكن أن يحـدث القتـل الخطـأ ، ولـذلك يضع الأسلـوب الواضح للتعامل مـع ذلك

القتل الخطأ لـه تشريـع وهـو فى قـول الله تعـالى . ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًـا خَطَـأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾[2] .. إن القاتل هنا لم يقصد أن يقتل ، ولكن حـدث القتـل خطأ، وهنـا نقـول للقاتـل : أنت أنهيت حيـاة إنسانٍ آخـر ، ولـذلك فعليك تحرير واحد من الرقيق، ومعنى ذلك أن يبحث القاتـل عـن حيـاة مقيـدة ويطلقهـا ، ومـع تحرير الرقبة هناك الدية التى تسلم لأهل القتيل ، والدية كـانت مقـدرة بمائـة بعيـر أو بألف دينار من الذهب ، وهى مقدرة بحيث يمكن أن ترتفع على حسب معامـل الزيادات، فالألف دينار من الذهب تكاد تكون قيمتهـا متساويـة بالمائـة بعيـر . إذًا فالدية يتم تقديرها بالسلعة الإقتصـادية المضمونـة القيمـة

الحق سبحانه وتعالى يضع للقتل الخطأ معيارين تحرير رقبة ، أو دية مسلمة لأهل القتيل ذلك لأن أهله يصابون ويفجعون فى حياتـه ، وربمـا كـان لـــه معهـم نفـع . والديـة شيء مـن التعـويض والمـواساه لهـم ، ولكـن لنفتـرض أن القاتـل لا يستطيع أن يقوم بذلك ، وهنـا يضع الحق سبحانـه الـدِيـة على العاقلـة أى الأسرة أو العائلة أو القبيلة لماذا ؟ لأنه إذا ما فهمت العاقلة أن أى إنسان سيـرتكب جناية سيتحمل دية الجنايـة ، فمعنى ذلك أن العاقلـة ستمنـع الإنسان مـن إرتكـاب هذه الجناية

(١) من الآيـة ٩٢ : سورة النساء

(٢) من الآيـة ٩٢ سورة النساء

القتل العمد

بعد أن تكلمنا عن قول الحق فى القتل الخطأ نتكلم عن القتل العمد .. قد يقول قائل : أمَا كان يجب أن يُحدثنا الله عن القتل العمد أولاً ؟ .. نقول: إن الحق لو تكلم عن القتل العمد أولاً لكان ذلك موجبًا أن يحدث أولاً ، ولكن الحق يقول ما كان يجب أن يحدث هذا القتل ، وسأل سائل لماذا لم يقل الحق « وما كان لمسلم » .. هنا يجب أن ننتبه إلى أن الحق سبحانه وتعالى نادى المؤمن ، لأن الإيمان عمل قلبى ، ولهذا كان النداء للمؤمنين ، ولم يكن النداء للمسلمين لأن الإسلام أمر ظاهر . فقد يقتل إنسان يتظاهر بالإسلام إنساناً مؤمنًا، لهذا نادى الحق بالنداء الذى يشمل المظهر والجوهر وهو الإيمان.

وحين يشرع الحق هذا الأمر ، فلابد أن يأتى بالقصاص من الذى يقتل عمدًا فيقول ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1] .. إن القتل هنا لمؤمن ومُتعمِّد .. إن جزاء القاتل عمدًا لمؤمن هو جهنم ، وليس له كفارة أبدًا ، هكذا يشع لنا الحق سبحانه جريمة القتل العمد .. لماذا ؟ .. لأن التعمد يعنى أن القاتل قد عاش فى فكرة أن يقتل ، ولذلك يقال فى القانون : قتل عمد مع سبق الإصرار . والقتل العمد يعنى أن القاتل قد عاش القتل فى تخيله ثم فعله ، وكان المفروض فى الفترة التى يرتب فيها للقتل أن يراجعه وازعه الدينى . إن القتل العمد يعنى أن الله قد غاب عن بال القاتل مدة التحضير للجريمة ، أى أن القاتل لو جاء الله فى باله لتراجع، ومادام الإنسان قد غاب عن باله الله ، فالله يغيبه عن رحمته .

إن لجزاء القاتل عمداً أكثر من مرحلة فى العذاب والجزاء فى جهنم ، فهو خلود فى النار ، وغضب من الله ، ولعنة من الله ، ووعيد من الله له بعذاب عظيم .. كأن جهنم ليست كل العذاب ، ففيها عذاب ، وفيها خلود .. وهذا ما نستعيد بالله منه ، وإن بعضنا يتصور أن العذاب هو جهنم وقد يغفل البعض عن أن هناك ألواناً متعددة من العذاب .

---

(١) الآية ٩٣ من سورة النساء

هنا وقف العلماء وقفة وهي هل لهذا القاتل توبة ؟ إختلف العلماء في ذلك. فعالم يقول لا توبة لمثل هذا القاتل ' وعالم آخر قال لا ، هناك توبة . وجاء ابن عباس وجلس في جماعته وجاء واحدٌ وسأله · أللقاتل عمدًا توبة ؟ .. فقال ابن عباس : لا . وبعد ذلك جاء آخر وسأله : أللقاتل عمدًا توبة ؟ . فقال ابن عباس : نعم !! .. فقال جلساؤه : كيف تقول ذلك وقد سبق أن قلت لا، واليوم تقول : نعم ؟ .. قال ابن عباس : سائلي الأول كان يريد أن يقتل عمدًا ، أما سائلي الثاني فقد قتل بالفعل .. فالأول أرهبته ، والثاني لم أويئسه من رحمة ربه ، وكيف فرق ابن عباس بين الأثنين ؟ .. إنها الفطنة الإيمانية ، والبصيرة التي يبسطها الله على المفتي .

القتل وأثره المعنوي و الإجتماعي

التشريع الإسلامي وضع للقاتل – مع سبق الإصرار والترصد – عقابًا هو .. القتل، وبذلك يحمي التشريع الحياة ولا ينمي القتل – كما يقول الأغبياء الذين لا يفهمون حكمة التشريع الإسلامي .. التشريع الرباني يريد أن يمنع القتل.. فالحدود القصاص إنما وضعت لتعطي الحياة سعة في مقوماتها لا تضييقاً في هذه المقومات ، فإذا ما اجترأ إنسان على إنسان لينهي حياته في غير حرب إيمانية شرعية فماذا يكون الموقف ؟ ..

ويقول التشريع : أنت تقتله ، وكان يجب أن يكون في بالك الآ تجترىء على إزهاق حياة أحد إلا أن يكون خطأ منك ، وأن يكون الخطأ غير مقصود ، ولكن إذا أنت فعلت خطأ نتج عنه الأثر وهو القتل فماذا يكون الأمر ؟ .. إنك أمام أمرين:

الأول : منفعل لك وهو القتيل ، وأنت القاتل ولكن لم تكن تقصد ، أي عدم القصد وارتكاب القتل كخطأ

الثاني : أن القتل قد حدث

التشريع في هذه المسألة يقول إن القاتل بدون قصد أزهق حياة إنسان ،

وحياة الإنسان هذا لها ارتباطات شتى ، وله ارتباطات ببيئته الإيمانية العامة ، وله ارتباطات ببيئته الأهلية الخاصة ، كعائلة العاقلة له أو الأسرة أو الأقرب من الأسرة وهو الأصل والفرع فنحن هنا أمام دوائر كثيرة هي :

(١) دائرة إيمانية عامة

(٢) دائرة الأهل في عمومها الواسع

(٣) دائرة الأسرة

(٤) دائرة خصوصية الأسرة في الأصل والفرع .

وحين تنتهي حياة إنسان في البيئة الإيمانية العامة فسوف تتأثر هذه البيئة بنقصان فرد مؤمن خاضع لمنهج الله ومفيد في حركته .. هنا نفع القتيل عام ، وحين توسعها في دائرة الأهل في عمومها الواسع فنفع القتيل أيضًا عام ، وإن نقص قليلاً ، وحين نأتي لدائرة الأسرة نجد أن نفعه خاص بشكل ما . وعندما نأتي إلى نفعة في الأصل والفرع نجده نفعا هامًا وخاصًا جدًا . إذًا .. هذا القتل يشمل تفريقاً لبيئة عامة ولبيئة الأسرة ولبيئة أصل وفرع ، ولذلك يحدث أنفعال بمقدار النفعية في المجتمع أو الأسرة

إثم القتل هو أنه قتل الناس جميعا

ومن الفساد تفزيع الناس وترويعهم وذلك في قسمين ..

القسم الأول : تفزيع من لك عنده ثأر ، أو بينك وبينه ضغينة أو بغض .

القسم الثاني : أن تفزع قوماً لا علاقة بينك وبينهم ولم يصنعوا معك شيئًا ضارًا

فمن يعتدى على إنسان ليس بينه وبينه مشكلة أو عداوة أو بغضًا ؛ فنحن لا نسميه خارجًا على الشريعة إنه يخرج على الشريعة - فقط - في حالة العداون. أما الذى يذهب للإعتداء على الناس ولو لم يكن بينه وبينهم عداء فهذه هي الحرابة ، أى أنه يخرج ليقطع الطريق على الناس ، ويخيف كل من يلقاه ، ويسبب له القلق والرعب ، والخوف على نفسه وماله ، والمال قد تكون من

جنس الحيوان أو جنس النبات ، أو جنس الجماد وذلك ما يسميه الشرع حرابة.

إذًا .. فالفساد فى الأرض معناه إخراج الصالح عن مظروف صلاحه فى الأرض، والمظروف فى الأرض سيده الإنسان ، والإفساد فيه إما بقتله ، أو إهاجته وإشاعة الرعب فيه ، وذلك فى شيء مملوك له من دونه فى الجنسية ؛ مثل الزروع أو النباتات أو الحيوانات .. فكأن الفساد فى الأرض يؤهله لقتل النفس وبذلك.. ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] .. أى أن القتل بغير الإفساد فى الأرض هو القتل الذى يستحق العقاب . أما القتل للإفساد فى الأرض فشيء آخر ، ذلك أن هناك فارقًا بين أن يقتل قصاصًا ، أو يقتل حدًا من المشرع ، حتى عفو صاحب الدم فى القتل لا يشفع .

تلك قضية إيمانية ، إنها الوحدة الإيمانية فمن يعتدى على نفس واحدة برئية؛ كمن يعتدى على كل الناس ، والذى يسعف إنسانًا فى مهلكه كأنه أنقذ الناس جميعاً ، ففى التوقيع التكليفى يكون التطبيق العملى لتلك القاعدة ؛ هو أن الذى يقتل بريئاً عليه لعنة الله وغضبه ويعذبه الله ، وكأنه قتل الناس جميعًا ، . والله سبحانه وتعالى يريد ألا يستقبل المجتمع الإيمانى مجترئًا بباطل على حق بدون أن يقف كل المجتمع أمامه.. فلا يقف المجتمع عليه بمفرده ، ولكن .. ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2] .



(1) الآية ٣٢ : سورة المائدة

(2) الآية ٣٢ . سورة المائدة

الكبيرة السادسة

قذف المحصنات

الحق سبحانه وتعالى يحمى ركنًا من أركان المجتمع السليم بأن يصون عرض المحصنات ، وذلك حتى ينشأ النشىء والنسل منهن لا يذل بعار ، وحين لا تذل النفس البشرية بالعار ، فإنها تواجه الحياة ، بمنتهى طلاقتها ومنتهى قدرتها ، والذى يحب أن تشيع الفاحشة ، ويقذف المحصنات والحرائر بغير ما اكتسبتن.. فهو يزلزل المجتمع فى نسب أفراده ، ويضار بها من ليس له ذنب ، وهم الأطفال الصغار .. فما ذنب الصغار ؟ والله سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1]

لكن .. ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ﴾[2].. ويرمى هى قذف الشىء بشىء، والمحصنة من الإحصان وهو الحفظ ، ولذلك نجد فى العصر الحديث من يقول: إن لديه حصانه برلمانية ، وذلك يعنى محفوظ .. ولابد أن نرفع عنه الحصانة والحصانة هى الحفظ ومنه الحصن ، والحصن معناه الشىء المنيع ، والمكان الأمين يدخله الناس ليحافظوا على أنفسهم فيه

المرأة المحصنة

المحصنات معناها : أنه تطلق مرة على المتزوجات ، لأنها تدخل فى موضوع الزواج على نحو .

الأولى : المرأة حصنت نفسها أى دنها لا تميل إلى الفاحشة .

---

(١) الآية ١٦٤ سورة الأنعام

(٢) الآية ٤ سورة النور

الثانيـة : وتطلق المحصنة على الحرة

لماذا تطلق صفة المحصنة على الحرة ؟ .. كان يقال - قديما - الذى يجرؤ على عملية الزنى هن الإماء ، وإنما الحرائر لا يأتينها أبدًا ، ونلاحظ أن هند بإسلامها أصبحت سيدتنا هند رغم أنها أكلت كبد حمزه ، وتقول سيدتنا هند لأنها أسلمت ، وإسلامها يَجُبُّ ما قبله ، ولما قال رسول الله ﷺ يا سيدات إياكن أن تزنن .. فضربت سيدتنا هند على صدرها وقالت : أو تزنى الحرة ؟ الحرة لا تزنى أبدًا ، وإنما التى تزنى – هن – البغايا حيث لهن رايات تلك حمراء، وأخرى خضراء ، وإنما الحرة .. لا.. فمرة تطلق المحصنة على المتزوجة، ومرة تطلق على الحرة .

والذين يرمون المحصنات .. بماذا يقذفونهن ؟ .. يرمونهن بما يناسب الإحصان أى بالزنى وذلك هو حد القذف .. ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1] ..

فإذا رميت امرأة بزنى ، فلابد أن تأتى بأربعة شهود ، فإن لم تحضر ، فتجلد كى لا تعتدى على أعراض الناس ، والمحصنة لا تجد من يغيثها ، لأنه يمكن أن يرمى شخص امرأة محصنة لأنه يحاول أن يغمز لها ، ولكنها لم تنجذب له فيتفق مع ثلاثة مثله، أو أثنين ويذهبون ويشهدون عليها فى هذا فتصبح مسألة فوضى وغالبا ما لا يلتقى الأربعة على شهادة الزور . فماذا نفعل ؟ يُجلدون ثمانين جلده ، فهل هذا يكفى ؟ لا ، بل

- لا يقبل لهم شهادة
- ويكون هؤلاء فاسقين

ولكن إذا تابوا هؤلاء الفاسقون ، واختلف فى ذلك العلماء هل لهؤلاء توبة ؟.. أن يكونوا غير فاسقين فقط ؟.. ثم تُقبل شهادتهم فيما بعد ؟. فقالوا

(١) الآية ٤ : سورة النور

ماداموا لم يكونوا فاسقين - أى غير فاسقين - فالتوبة صالحة ونصوح فتقبل شهادتهم والعقوبة هنا تشدد بثلاثة أشياء لأجل أن تحمي أعراض الغافلات المؤمنات . لكي لايجرؤ أى فرد أن يجلس ويقول كذا وكذا ، لأنه على فرض أن أثنين رأيا فالحد يُدْرَأ بالشبهة ، لأجل ألا تشيع الفاحشة بين الناس.

والذين رموا السيدة المحصنة ، فبماذا رموها ؟ رموها بالزنى فماذا يكون عقابهم ؟

العقوبة الأولى : إذا لم يأتوا بأربعة شهداء .. ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ ..

العقوبة الثانية : ﴿ وَلَاتَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ﴾ .. وهنا سقط اعتبارهم ، وساقط الإعتبار ساقط الكرامة ، ولا يقام له وزن في المجتمع .

العقوبة الثالثة : اعتبار هؤلاء هم الفاسقين ، إلا إذا تابوا ، والذين تابوا استثناء من الفسق

من يرمي المحصنة الغافلة ماذا نفعل له ؟.. نجرى له حد القذف لأنه فاسق ، ولا تُقْبَلُ له شهادة ، أى أبعدناه عن مجتمع الإيمان .. عزلناه وعزلناهم، أسقطنا اعتبارهم ، ومادمنا أسقطنا اعتبارهم فاللّعن أوله الطرد والابعاد عن مجتمع المؤمنين أى لعن في الدنيا ، وهذا اللعن في الدنيا هل يعفى من عذاب الآخرة؟.. لا . فإن لهم عذابًا عظيمًا في الآخرة

العذاب هو الإيلام الحي فهو عذاب اليم ، وعذاب مهين ، وعذاب عظيم، ثلاث صور للعذاب والعذاب في الدنيا يتم بأيدى البشر ، والمعذب في الآخرة معذب بجبروت الله وقهر الله فهل هذا عذاب عظيم أم غير عظيم ؟ .. ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ ﴾[1] اللسان يتكلم فهذا شيء معروف ، واللسان في الآخرة هو الذى سيتكلم بغير واقع الإنسان في الدنيا .. سينطق اللسان بلا مراد صاحبه لأن مراد صاحبه عجز.. الإرادة تريد ، وإنما الذى يوصل عجز ، والحق سبحانه وتعالى في الدنيا يرتب إرادتك على جوارحك لأننا نعيش في دنيا

(١) آيـة ٢٤ سورة النـور

الأسباب

إذًا اللسان خاضع لإرادة الله وليس لإرادتك وإرادة الحق دليل على أنه يقدر أن يتكلم أما فى الآخرة فاللسان لا يتكلم بإرادة صاحبه لماذا ؟ الإنسان خلقه الله سبحانه وله إرادة . وهذه الإرادة مالكة لتصرفات الجوارح . وإرادتى هى التى تحرك . إنما الله سبحانه وتعالى عندما يريد شيئًا يقول له ﴿كُن فَيَكُون﴾ .. أى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1]

قذف الزوجات

إنك رميت الأجنبية وحدث ما حدث . وعُوقبت فكيف لك أن ترمى روجتك ؟ أليس لزوجتك أولاد منك ،فما ذنب أولادها حين ترمى أمهم ؟! ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾[2]

عاصم بن أمية ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال إننى رأيت فلانًا على بطن روجتى إن تركته لآتى بأربعة شهود فإنه يقضى حاجته من أهلى وسينصرف، وأن قتلته فأكون قد اعتديت عليه . فحل لنا هذا اللغز ؟

الله سبحانه وتعالى يترك لأقضية الكون حاجة التشريع لاينزل مرة واحدة، ولكن يترك فى الأحداث شيئًا لأجل عندما ينزل الحكم ينزل لصالحهم هذا الحكم . فالحكم يأتى فى هذا الوقت . وذلك أثبت . لأن الذى ذهب إلى رسول الله ﷺ وقال إننى رأيت فلانًا على بطن روجتى . فإذا تركته لآتى بأربعة شهود فسيأتى بحاجته ويخرج . وإن شهرت سيفى ثم سكت . ولكنه تأدب مع رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه وتعالى اية الملاعنة أو آية اللعان وهى قوله تعالى. ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾

الزوج قد توجد عنده حاجات يلاحظها، وقد يضع يده عليها . ولكنه لا يقدر

(١) الآيـة ٨٢ سورة النور

(٢) الآيـة ٦ سورة النور

ان يأتى بشهود وإنما رأى المسألة . ولكنه ماذا يفعل ؟ الله سبحانه وتعالى وضع حكمًا لهذه الحالة فقال ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ فى هذه الحالة نجد أنه

أولا : يأتى الزوج ويطلب منه أن يشهد أربعة شهادات ويقول فيها : أشهد الله أننى صادق فيما رميت به امرأتى ثم يشهد شهادة خامسة يقول فيها لعنة الله علىّ إن كنت كاذبًا

ثانيـاً : ثم يأتى بالزوجة ويطلب منها أن تشهد أربعة شهادات فيها تقول : أشهد الله أنه كاذب ثم تشهد شهادة خامسة تقول فيها : إنى عصيت الله إن كان من الصادقين تلك أربعة شهادات وخامسة منه ، وأربعة شهادات وخامسة منها أيضًا ، إن إمتنعت هى ثبت عليها الزنى ، وإن حلفت فنقول لها إنكما لا تصلحان لبعضكما البعض ، ولا تحل لك زوجة أبدًا تلك هى الملاعنة

هذا التشريع فضل من الله لأنه أنهى المسائل على خير ما تنتهى عليه ، ولولا فضل الله لَفُضِحْتُمْ ، فالذى عصمكم هو فضل الله سبحانه وتعالى ، وذلك تشريع الحكم المناسب فى كل حالة



الكبيرة السابعة

أكل الرِّبَا

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِن الْمَس ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[١] ..

الإنذار والوعيد

هل كل حاجات الحياة أكل ؟ .. حاجات الحياة كثيرة والأكل بعضها ، ولكن الأكل من أهم حاجات الحياة لأنه وسيلة استبقاء النفس .. ﴿ والَّذِينَ يَأْكُلُون الرِّبَا ﴾ .. أى هؤلاء الذين يأكلون الأمر الزائد لأن الربا هو الأمر الزائد. ومادام الربا هو الأمر الزائد فما يأكله الإنسان هو فى غير حاجة إلى أن يأكله ، وهذا تقريع من الحق سبحانه وتعالى لمن يفعل ذلك .

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يُبَشِّعُ هذا اللون من الأكل ويقول عن هؤلاء إن لهم سمة يعرفون بها وهى أنهم هم .. ﴿ الَّذِين يَأْكُلُونَ الرِّبَا لايَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمس ﴾ .. تساءل العلماء هل هذه السمة تميز الآكلين للربا فى الآخرة يوم الحشر كما يقول الحق .. ﴿ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصِى وَالأَقْدَامِ ﴾[٢] ..

يوم الحشر نجد السمة مميزة لغير المصلين ، وسمة أخرى لغير المزكين

(١) الآية ٢٧٥ : سورة البقرة
(٢) الآية ٤١ : سورة الرحمن

بحيث إذا رأيتهم عرفت سيماهم ، ومن أى صنف هم من أصناف العصاة ؟ .. فكأن الذين يأكلون الربا يقومون مفزوعين كالذى يتخبطه الشيطان من المس .. أم أن هذه السمة وهى الفزع لمن يتخبطه الشيطان من المس ، صفة وأمر حاصل لهم فى الدنيا ، والتخبط هو الضرب على غير استواء وهدى .. فلان يتخبط أى يتحرك بغير نظام منطقى ، أى يتحرك حركة لا ضابط لها.

الشيطان جنس من خلق الله ، والله قال أنه خلق الإنس والجن ، ومن الجن الشيطان ، والشيطان هو العاصى من الجن . لكن نحن لم نَرَ الشيطان ، لكن علمنا بالشيطان بواسطة أعلام الحق الذى آمنا به ، فقد أبلغنا بان له خلقًا آخر مستترًا اسمه الجن والكلمة مأخوذة من الإستتار كالمجنون أى المستور عقله ، فإيماننا بالله يقودنا إلى الإيمان بوجود ما أخبرنا به أنه موجود ، فإيماننا بوجود شيطان لا عن حدس ، ولكن عن إيمان بغيب أخبرنا به الله سبحانه الذى آمنا به، وحين نجد شيئًا اسمه الإيمان يجب أن نعرف أنه غير محس لأن المحس لا يقال : آمنت به لأنه أمر مشهود لك .

إذًا .. فالأمر الإيمانى أن نؤمن بما أخبرنا به الله .. بوجود الملائكة وهم غيب ، وصورة الشيطان ورأسه المميزة له ، وشجرة الزقوم وأنها شجرة تخرج من أصل الجحيم وتوجد فى الآخرة .. ﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[1] فكيف يشبه الله مالم نره بما لم نره ؟! .. رؤوس الشياطين مجهولة لنا ، وكذلك شجرة الزقوم . إذًا .. فصورة الشيطان بشعة ، ولو جاء الشيطان على صورة واحدة من القبح فقد يكون عندك غير القبح عند غيرك ، ولكن حين يطلق الله العنان لأخيلة الناس فى تصور القبح فان الشيطان قبيح الصورة عند كل إنسان ، وكل خيال يراه قبيحاً ، وهكذا تكون صورة قبح الشيطان بهذا الأسلوب هى الصورة الأكمل والأوفى بدلاً من أن يكون القبيح محددًا بصورة واحدة شائعة .

(١) من الآية ٦٢ : ٦٥ : سورة الصافات

الذى يتخبطه الشيطان من المس مس هو ؟ نحن نعرف أن الشيطان هو العاصى من الجن ، وقد حكى الله سبحانه وتعالى لنا أن كثيرًا من الشياطين لهم التصاق واتصال بكثير من الإنس مما يجعل الذين يأكلون الربا بأن يكون التكوين الإنسانى قد مس مسًا أفسد استقامة ملكاته . التكوين الإنسانى له استقامة من الملكات مع بعضها ، بحيث يكون لكل حركة اتساق مع غيرها وفائدة . فإذا ما مس الشيطان أحدًا من البشر ، فإن هذا الإنسان الممسوس يفقد انسجام حركات جوارحه وملكاته فيتخبط ، وتكون ملكاته غير مستقيمة ، وتكون حركاته غير منتظمة وغير منطقية ، وما مناسبة هذه الصورة وعملية الربا ؟ .. إن أردناها فى الآخرة فهى سمة تميز أهل الربا ، وإن أردناها فى الدنيا فهى سمة لحركة الإنسان غير المنطقية . وعندما يأكل الربا نجد أن حركاته تتسم بالهستيريا ، وعندما نتأمل العالم الآن فإننا نجد الإضطراب يسود كل أناس يتعاملون بالربا .. إننا نجد أغنى بلاد العالم وأحسنها من ناحية الرقى الإقتصادى هى التى تمتلىء بأمراض النفس من قلق وغم واكتئاب وحزن وإضطراب وشذوذ وجنون وانتحار.

إذًا فالعالم الذى يشكو من كل ذلك لا يسير بمنطق منهج الله ، ولكنه يسير بمنطق هوى البشر لذلك أصيب العالم بالهستيريا .. إن العالم يبدو مصدقًا لقول الله سبحانه وتعالى ﴿ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ ..

قد يقول إنسان أنا مضطر لأن أتعامل مع البنك بالربا لأنى أريد أن أتاجر فى مائة ألف جنيه وليس معى مائة الألف جنيه !! وهذا ما حدث مع كل الناس. هنا نقول لا عليك فى التجارة فى الألف التى تملكها ، ولاتقل أنا مضطر للتعامل فى الربا ، والمضطر هو الذى يعيش فى مجاعة ، وإن لم يفعل ذلك يموت أو يموت من يعول لقد رخص الشرع للإنسان الذى لا يملك مالاً أن يقترض من المرابى إن لم يجد من يقرضه ليشترى دواء لنفسه أو لمن يعول .. إن الإثم هنا يكون على المرابى لا على المقترض . ولذلك يقول الحق سبحانه.. ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾[1] .. أى أنه كاره للإثم ، ويذهب إلى الإثم كارهًا. ولذلك يباح للمضطر على قدر رفع الضرورة لدرجة

(١) من الآية ٣ سورة المائدة

أن رجال الشريعة قالوا : إن على الإنسان المضطر ألا يأكل من الميتة أو ما فى حكمها بالقدر الذى يشبعه، بل يأخذ أقل طعام يمسك الأَوَد فقط . وإن كان يسير فى صحراء له أن لا يأخذ من الميته أو ما فى حكمها إلا قدرًا لأنه قد لا يجد شيئًا يتقوت به ، وقال رجال الشريعة: إنه إن كان مؤمنًا بالإله فلا يجب أن يأخذ معه قليلا من الميته أو ما فى حكمها .

إذًا فمن إضطر فى مخمصة شرط أن يكون غير متجانف لإثم أى لا يكون مائلا إلى الإثم فرحًا به ، فعليه ألا يأخذ إلا على قدر الضرورة ، ومادام على قدر الضرورة فهو لن يحمل معه من هذه الأشياء المحرمة . والمضطر هو من فقد الأسباب البشرية، لأن الله سبحانه وتعالى بسط أسبابه فى الكون ومد بها يديه إلى خلقه وقال للأسباب : استجيبى لهم مؤمنًا كان أم كافرًا .. فالذى يزرع ويحسن الزراعة والرى والبذر والحرث يعطيه الله من فضله .

الحق سبحانه وتعالى مع المضطر الذى فقد أسبابه .. فالحق يجيب المضطر إذا دعاه ، وقد يقول إنسان : إننى أدعو الله ولا يجيبنى نقول له : إنك غير مضطر لأنك تدعو بأن تسكن قصرًا بدلا من الشقة التى تسكنها ، وتدعو أن يعطيك سيارة فارهة وأنت تملك وسيلة مواصلات عادية .

الربا مُحْقٌ والصدقة زيادة

لا تعتقدوا أنكم بالربا تزيدون أرزاقكم ، فتقعون فى خداع اللفظ ، فالألفاظ تخدع البشر.. ربا تعنى زاد ، فالربا فى المال قد يزيد المائة فتصير مائة وعشر. والزكاة تنقص المال ، والمائة تنقص بالزكاة لتصبح ٩٧,٥ .. الظاهر أن الربا قد زاد المال والزكاة انقصت ذلك فى اصطلاح البشر وأعرافهم ، أما فى اصطلاح الحق سبحانه وتعالى فإنه يمحق الزائد ، وينمى الناقص .. ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[1] .. ويمحق مأخوذة من محق، وتعنى أن الشيء ضاع حالاً بعد حال ، والشيء لا يضيع فجأة إنما يتسلل

(١) الآية ٢٧٦ سورة البقرة

فى الضياع بدون شعور ، ومِنْ « محق » تؤخذ كلمة « المحاق » وهو ذهاب الهلال. أما كيف يمحق الله الربا فذلك أنه يبدو زاهيًا أمام صاحبه ، وبعد ذلك يتسلل إليه الخراب من حيث لا يشعر ، ولعلنا إذا دققنا النظر فى البيئات المحيطة بنا فإننا نجد مصداقًا لذلك .. فكم من أناس كثيرين تعاملوا بالربا ورأيناهم وعرفنا كيف أنتهت حياتهم.

الله سبحانه وتعالى يقول .. ﴿وَمَآ أَتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِندَ اللَّهِ وَمَآ أَتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾[1] .. فإياكم أن تظنوا أنكم قادرون على خداع الله ، الربا يؤكد الله أنه لايربو ، أما الزكاة فما الذى يحدث لها ؟ .. على الإنسان ألا يستهين بنسبة الفعل لله ، إن نسبة الفعل لفاعله يجب أن تأخذ ضخامته من ذات الفعل . فماذا قيل لك إن الله ، هو الذى يمحق الربا ، فإنه لابد أن تقيس الأمر بالنسبة إلى الفاعل المطلق الذى له طلاقة القوة والقدرة والفعل ، ليجعل الشىء أضعافًا مضاعفة .. فهل يوجد محق فوق هذا ؟.. إن ذلك لا يمكن أبدًا .

وقضية .. ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَ اللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ .. هذه القضية مصونة ، ولايمكن أن تبدد ، إن القائل هو الله ، موجودة فى كتاب الله – الذى يتلى متعبدًا به – القضية على ألسنة المؤمنين كلها ، وفى قلوب المؤمنين كلها ..أيقول الله سبحانه عن قضية يحفظها كل الحفظ ليأتى واقع الزمن ليكذبها ؟!.. ذلك غير ممكن على الإطلاق ، لأن الله حفظها فى مستند مؤيد إلى الأبد .. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] .. فالحق سبحانه وتعالى قد أطلق فى القرآن قضايا ، وهذه القضايا ما تعهد الله بحفظها إلا لتكون حجة على صدق الحق فى قولها للناس .

---

(١) الآية ٣٩ : سورة الروم

(٢) الآيـة ٩ : سورة الحجر

حرب الله على المرابين

نحن نعرف أن النداء بالإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ هو حيثية كل تكليف يأتي بعده . يا من آمنتم بي إلها قادرًا حكيمًا عزيزًا ، غالبًا على أمري ، لاتضرني معصيتكم ، ولا تنفعني طاعتكم ، فإذا كنتم قد آمنتم بي وأنا إله قادرًا ورحيم فاسمعوا مني ما أحبه لكم من أحكام إن المؤمن يفعل ما أمره الله لأنه مؤمن بحكمة من أصدر الحكم ، ومؤمن بطلاقة قدرة الخالق ، والمؤمن لايدخل في متاهات علل الأحكام

المؤمن ينفذ أحكام الله لأنها صادرة من الله ، والمؤمن آمن بالله لأنه إله حكيم قادر ، وإياك أيها المسلم بأن تدخل في متاهات علة الأحكام ، لأن هناك أحكامًا قد تغيب علتها عنك فهل تؤجل هذه الأحكام حتى تعرف العلة ؟ .. هل تؤجل تحريم أكل لحم الخنزير إلى أن يثبت بالتحليل أنه ضار ؟ .. لا ، فإذا ثبت حاليًا بالتحليل أن لحم الخنزير ضار ، أزددنا ثقة في كل حكم كلفنا الله به ولم نهتد إلى علته .

وفي قوله الحق سبحانه .. ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] . إتركوا ، ودعوا ، وتناسوا واستعوضوا الله فيما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين حقًا بالله ، كأن الله أراد أن يجعلها تصفية ، فيولد المؤمن خالصًا من أدْرَان الربا من لحظة سماعه بأمر الله في الربا إنه أمر واضح للمؤمنين بأنْ تدْعُوا الربا الذي تقبضونه ، لأن الذي قبضتموه قد صدر فيه حكم الله من قبل إن قال قائل إن التعاقد على الربا قد صدر قبل التحريم على فرض أننا سنؤدي ذلك التعاقد ، فإننا نقول : إن التعاقد أوجب لك الحق في عرفك ، ولكنك لم تقبض الحق اليسير في يدك ، وترتب حياتك الإقتصادية عليه . إذًا .. فترتيب الحياة الإقتصادية لم ينشأ بالإنفاق على الربا إنما ينشأ بقبض الربا ، وما دمت لم تقبضه فليذره العبد المؤمن ، ولكن ما الذي يحدث لو لم يفعل المؤمن ذلك.. ها هو ذا القول الحكيم .. ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ

(١) من الآية ٢٧٨ : سورة البقرة

رُءوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُون و لاَ تُظْلَمُون ﴾[1] .. إن حَرْبَ الله لا نقول فيها إلا قول الله .. ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِكَ إلا هُوَ ﴾[2] .. ولا يستطيع أحد أن يحتاط لها ، أما حرب رسول الله فهذه هي الأمر الظاهر من الله سبحانه وتعالى كأن يجرد على المرابين تجريده هائلة من جنوده التي لا يعلمها إلا هو ، وحرب رسول الله ﷺ جنودها هم المؤمنون برسوله ، وعليهم أن يكونوا حربًا على كل ظاهرة من الظواهر ليطهروا حياتهم من دنس الربا.

الربا ومفهومه في الإسلام

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾[3] .. الربا هو زيادة في المال ، وهل يأكل أحد الربا ؟.. أنه ليس صنفًا من الطعام .. والله سبحانه وتعالى يوضح لنا أن المال وغيره إنما هو من أجل اللقمة التي نأكلها « ومن أصبح مُعَافىً في بدنه ، وآمنا في سِرْبه وعنده قوت يومه ، فكأنما حِيزَت له الدنيا » . والمال لا يؤكل، وذلك أنه عندما يوجد الإنسان في مكان وليس فيه طعام وماء فلن يغنيه أن يمتلك جبلا من الذهب عن حاجته من الطعام.

والله سبحانه وتعالى عندما يقول .. ﴿ لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً ﴾ . فهذا كلام اقتصادى ، والأضعاف هو الشيء الزائد حيث إذا قارنته بالأصل صار ضعيفاً .. فعندما يكون الرقم مائة وفائدته الربوية عشرون سيكون نصيب المرابى المائة وعشرون وهذه المائة والعشرون تجعل المائة ضعيفة بالنسبة لها .. فهذا هو الأضعاف. ومضاعفة هي أن المائة والعشرون ستصير رأس مالٍ جديدةٍ ، وسيأخذ المرابى الفائدة على أساسها لا على أساس المائة فقط ، وهكذا تكون الأضعاف قد تضاعفت .. ذلك هو الربح المركب ، ولكن هل معنى هذا أن نأكل الربا وهو غير أضعاف مضاعفة .. لا .. ولكن كان هذا الواقع في تلك

(١) من الآية ٢٧٩ : سورة البقرة

(٢) من الآيـة ٣١ : سورة المدثر

(٣) من الآيـة ١٣٠ سورة آل عمران

الأيام .

قد يدعي إنسان أنه يفهم في القرآن فيقول : إن المنهى عنه هو الأضعاف المضاعفة ، بينما الربح البسيط يصح. ولكن لمثل هذا القائل نرده إلى قول الله.. ﴿ إن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ ﴾[1] .. وهذا القول الحكيم يوضح أن التوبة تقتضى أن يعود الإنسان إلى حدود رأس ماله ، ولا يشوب ذلك ربح بسيط أو ربح مركب .

فى تحريم الربا

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يسيطر على الاقتصاد عناصرٌ ثلاثة هى :

العنصر الأول : الرفد ، والعطاء الخالص حيث يجد الفقير المعدم غنيًا يعطيه لا بقانون الحق المعلوم المفروض فى الزكاة ، ولكن بقانون الحق غير المعلوم فى الصدقة

العنصر الثانى : حق الفرض وهو الزكاة.

العنصر الثالث : حق القرض وهو المداينة.

إذًا .. فالأمور الثلاثة هى التى تسيطر على الاقتصاد الإسلامى، والتطوع بصدقة، أو أداء لفروض من زكاة ، أو مداينة بالقرض الحسن .. ذلك هو ما يمكن أن ينشأ عليه النظام الاقتصادى فى الإسلام . وللنظر إلى قول الحق سبحانه حين فرض هذه المسألة ، وَبَشَّعَ هيئة الذين يأكلون الربا بأنهم لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، هذا هو القول الحق منهم .. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾[2].. فهل هذا الكلام فى البيع أم فى الربا ؟ .. وكأن المنطق يقتضى أن يقول : الربا كالبيع ، فما الذى جعلهم يعكسون الأمر ويقولون البيع مثل الربا ؟ ..

(١) من الآية ٢٧٩ : سورة البقرة

(٢) من الآية ٢٧٥ : سورة البقرة

هل النص القرآنى هنا يوحى إلى التخبط حتى فى القضية التى يريدون أن يحتجوا بها ؟ .. كأنهم قالوا : ما دمت تريد أن تحرم الربا فالبيع مثل الربا فعليك تحريم البيع أيضًا ن وكان القياس أن يقولوا : إنما الربا مثل البيع . الحق سبحانه وتعالى أراد أن يوضح لنا تخبطهم فجاء على لسانهم . إنما البيع مثل الربا .. إن كنتم قد حرمتم الربا فحرموا البيع ، وإن كنتم قد حللتم البيع فحللوا الربا !! .. إنهم يريدون قياسًا إما بالطرد وإما بالعكس ، فقال الله سبحانه وتعالى القول الفصل والحاسم.. ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾[1].. « إنها موعظة من الله جاءت ، والموعظة من غير مستفيد منها من المنطق أن تُقْبَلَ . أما الموعظة التى يشك فيها فهى الموعظة التى تعود على الواعظ بشىء ما ، إنما الموعظة إذا جاءت ممن لا يستفيد بهذه الموعظة، فهذه حيثية قبولها .. ﴿ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ ﴾..

الحق سبحانه وتعالى الذى تولى تربيتكم ، ومتولى التربية خُلقًا لإيجاد ما يستبقى الحياة ، وإيجاد ما يستبقى النوع ، ومحافظة على كل شىء بتسخير كل شىء لك أيها الإنسان .. فهى أن تكون مهذبًا أمام ربك ، فلا تظن إتهام الرب الخالق – معاذ الله – فى شبه الاستفادة من تلك الموعظة .. لماذا ؟ .. لأن الخالق رب ، ومادام الخالق الأكرم ربًا فهو المتولى تربيتك أيها الإنسان .. ومادام هو الأعز الأكرم المتولى تربيتك فاياك أيها الإنسان أن تتأبى على عظمة الرب ، ومعنى ذلك أن الأمر لن يون بأثر رجعى .. تلك هى الرحمة ، لماذا ؟ .. لأنه من الجائز أن كل مرابٍ قد رتب حياته ترتيبًا على ما كان يناله من حرام ، فإذا كان الأمر كذلك فإن الحق سبحانه وتعالى يعفو بما فات .. تلك هى عظمة التشريع الربانى..﴿ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾[2].. أى أن له ما سبق وما مضى ، وتفيد كلمة أمره إلى الله .. إن الله سبحانه حينما يعفو عما سلف فلا تظنن – أيها العبد – أن الله قدر فى أى شىء يملكه .

(١) من الآية ٢٧٥ . سورة البقرة

(٢) من الآية ٢٧٥ : سورة البقرة

قدر الله سبحانه لا أن يملك الله ولكن الله سبحانه له طلاقة الحرية في أن يفنى ما يشاء فيجب أيها المؤمن أن تتعلق دائمًا باستدعاء الفضل من الله . وأن يديم فضله فله ما سلف فإذا ما أدام الله عليك هذا الفضل فإنك تعيش في فضل الله، ولا تعيش أبدًا في حق تعتبره لك لأنه لا حق لعبد بالنسبة لربه

أمر الإنسان التائب عن الربا إلى الله أيضا لأنه ربما قال قائل سأنهار اقتصاديا ، وسيتزعزع مركزى ، وسأصبح في وضع أقل بعد أن كنت في وضع أحسن لا ليجعل هذا الإنسان سنده في الله ففي الله عوض عن كل فائت. إن الله لا يريد أن يزلزل مراكز الناس ولكنه يريد أن يقول للناس إننى إن سلبتكم نعمتى فاجعلوا أنفسكم في حضانة المنعم بالله . ومادام الإنسان قد جعل نفسه في حضانة المنعم بالنعمة . فالنعمة لا شيء لأن المنعم عوّض عن هذه النعمة

التوبة من الربا

الذين يتعللون ويقولون إن النص القرآنى إنما يتكلم عن الربا في الأضعاف المضاعفة ، فإذا ما منعنا القيد في الأضعاف المضاعفة لايكون حرامًا !! أى إنهم يريدون تبرير إعطاء الفقير مألا وأن لا يستردوه أضعافًا فقط بل أضعافًا مضاعفة حتى لا يصير ذلك الاسترداد بالزيادة حرامًا ويريدون تبرير إعطاء الفقير مألا ويرده ضعفا حتى لا يصير ذلك الاسترداد حرامًا ولهؤلاء نقول إن الذين يقولون ذلك يحاولون أن يتلصصوا على النص القرآنى ويسقطوا ما شاءوا دون أن يضع النص ما يحول دون التلصص ، ولو فطنوا إلى أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُون وَلا تُظْلَمُون ﴾[1] هذا القول الحاسم يوضح أن الله لم يستثن ضعفًا ولا أضعافًا ، فذلك قول الحق سبحانه . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون ﴾[2]

(١) من الآية ٢٧٩ سورة البقرة
(٢) من الآية ١٣٠ سورة آل عمران

قول الحق الحكيم لم يجيء إلا ليبين الواقع ، ولـم يستثـنِ ضعفًا أو أضعافًا لأن الحق جعل التوبة لكبيرة الربا .. تبدأ بأن يأخذ الإنسان رأس مالـه فقـط ، فـلا يسمح الله لأحد أن يأخذ نصف الضعف أو الضعف أو الضعفين ، ولا بالإضعاف ولا المضعفات ، وكانوا يتعللون أن اتفاق الطرفين على أى أمر يعتبر تراضيًا ويعتبر عقدًا.. ذلك قـد يكـون صحيحًا إن لـم يكـن هنـاك مشرع أعلى مـن كـل الخلـق يسيطر على هذا التراضى . فهل كلما تراضى طرفـان على شيء يصير حلالًا ؟ .. لو كان الأمر كذلك لصار الزنى حلالًا !! .. فلا تراضى بيننـا فيمـا يخالـف مـا شرع الله أو حكم فيه ، فهـذا التراضى باطـل .

الله سبحانه وتعالى سمى الربا محقًا وسحقًا ، وسمى الزكـاة نماء ، والبركـة التى تصيب المال المزكى عنه تجعله كثيرًا ، ولكن الزيادة التى تحـدث مـن الربـا تسلب من المال البركة فتجعله قليلا ، فلـو أننـا تتبعنـا منهـج الله لكثر القليـل فى أيدينا ، وجعلنا الله نعيش فى سعة رغـم قلـة المـال .. ولكننـا لا نحترم قانـون الله فى خلقه ، والعجيب أننا نحترم قانون الإنسان فيما يصنـع ، ولـو أن الإنسان أخـذ قانون حياته من خالقه لاستقامت كل الأمـور الخـاصة بـه .

العقاب لمن عادوا

الحق سبحانه وتعالى يحـذر فى قولـه .. ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون ﴾[1] .. إن من يعود إلى الربا بعد أن جاءت الموعظة مـن الله.. فماذا يكون أمره ؟ .. أنه من أصحاب النـار هـم فيهـا خالـدون ، وكـان يكفى أن يقول لنـا الله إن العائـد إلى الربـا الـذى قـد يكـون مؤمنًا ، وعـاد إلى المعصيـة سيأخذ حظه فى النار ، إنمـا قـول الحق سبحانـه فى أمـر هـذا العائـد .. أنـه من أصحاب النار وخالدٌ فيها ، هذا القول إنما يعنى أن هذا العائد إلى الربا قـد خـرج عن دائرة الإيمـان .

وفى قول الحق سبحانـه وتعـالى ينتهى إلى أمريـن .

(١) من الآية ٢٧٥ سورة البقرة

الأمر الأول : هو أن الربا حرمه الله .

الأمر الثانى : هو محاولة من أهل الربا أن يُحلُّوا الربا بأنه مثل البيع

إن عاد الإنسان إلى الربا حاكمًا بحرمته فهو مؤمن عاصٍ يدخل النار ، وإنما إن عاد الإنسان إلى الربا وما سلف من مناقشة أمر التحريم محاولا أن يسقط ويحاول فى أن الربا مثل البيع ، وناقش فى حرمة الربا ، وأراد أن يحُله كالبيع، فهذا خروج عن دين الإسلام ، وحين يخرج الإنسان عن دين الإسلام فإن له الخلود فى النار .

وهنا يجب أن نلفت نظر الذين يُحلُّون الربا نقول لهم : قولوا إن الربا حرام ، ولكن لا نقدر على أنفسنا حتى نبطله .. إنهم بذلك يكونوا عاصين فقط. ولكن أن يحاولوا أن يبرروا الربا ويحلوه فهذا خروج من دائرة المعصية ودخول فى دائرة شرٍ من ذلك وهى دائرة الكفر والعياذ بالله .



الكبيرة الثامنة

الفــرار يــوم الـزحـف

الزحف هو الترابط للمجتمع الإيمانى للدفاع عن الإسلام ، لأن معنى الزحف أن أعداء الإسلام قد أغاروا على المسلمين .. ومادام الأعداء قد أغاروا ، فعلى كل مسلم أن يقف على ثغرة من ثغور الإسلام لتظل كلمة الإسلام هى العُليا ، ولكن إذا فرَّ المسلم فهو يعطى علامة على ضعف الإيمان فى النفس . لكن إذا كان مؤمنًا حقًا ، وواثقًا من الغاية فإنه يذهب ليقاتل ، فقتل فصار شهيدًا ومبشرًا من الله .. فلم يفر يوم الزحف ؟ ..

الفرار يوم الزحف[1] يعطى أسوة سيئة لمن يرى هذا الموقف ، فليس الأمر افتقاد مقاتل لحظة القتال ، ولكنه يسبب خلخلة إيمانية فى النفس البشرية .

المؤمن حين يدخل الحرب يثق تمامًا فى قول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ﴾[2] .. والمؤمن يتربص بأعداء الله، وذلك قول الله الحق .. ﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾[3]..

إن تربص الأعداء للمؤمنين هو تربص بإحدى الْحُسْنَيَيْنِ هما .. النصر أو الجنة ، وتربص المؤمنين بالأعداء هو تربص بإحدى السيئتين .. إما أن يصيبهم

(١) قال رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف .. اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : وما هن يارسول الله؟.. قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرمها الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات ..» متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) من الآية ٥٢ : سورة التوبة

(٣) من الآية ٥٢ : سورة التوبة

عذاب من الله أو عذاب بأيدى المؤمنين

الحق سبحانه وتعالى إذا كان يريد ان يثبت للإنسان المسلم نعيم إيمانه بأن من يفقده الحياة التي هي سبب في تمسكه بمظاهرها فلماذا يترك المؤمن حياته ؟ هذا تساؤل الكفار ويجدون الإجابة في أنفسهم لابد أنه ذاهب لحياة أحسن

الله سبحانه وتعالى لا يحب من المؤمنين ان يقوموا بالانتحارات . ولكن يقول الله سبحانه عن الفرار يوم الزحف ﴿ ومن يولّهم يومئذٍ دُبُرهُ إلا مُتحرّفًا لِقتالٍ أوْ متحيّزًا إلى فئةٍ فقد باء بغضبٍ من اللّه ومأواه جهنّمْ و بئس الْمَصِير ﴾[1] فعندما يكون الإنسان مستعدًا للدخول في معركة . والمسلمون غير مستعدًا لهذا وليس عندهم مظنة النصر فهذا نقصان لمقاتل من المسلمين إذا فعلى المؤمن أن يعرف انه يجب أن يموت بثمن يأخذه وهو يحب ذلك وهو الجنه وبثمن للجماعة المسلمة وهو النصر



١ من الآية ١٦ سورة الأنفال

الكبيرة التاسعة

أكل مال اليتيم

الحق سبحانه وتعالى ينبه إلي .. ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾(١) .. قد يتساءل سائل : كيف نؤتى اليتيم ماله وهو لم يبلغ مبلغ الرجال ؟.. مادام يتيمًا فلا يجب أن نعطيه المال حتى لا يضيعه . لكن هذا السائل ينسى دقة العبارة لقول الحق سبحانه .. ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ ﴾(٢) .. وهنا نقول : ماذا نفعل قبل ذلك ؟ .. لا ندفع لهم أموالهم .

الله سبحانه وتعالى – يقول لك أيها المؤمن ساعة أن تكون وليًا على مال اليتيم ، فا حرص جيدًا على أن تعطى هذا اليتيم – بعد أن يستكمل رشده وأن تعطيه ماله كاملا ، فأنك حفيظ على هذا المال، وإياك أن تخلط مالك بماله . أو يتبدل الخبيث بالطيب ، أى ترى حاجة جميلة يملكها فتروق فى عينيك فتقول له : اعطنى هذه وخذ بدلا منها هذا الشيء ، ويكون هذا الشيء الذى أعطيته خبيثًا بدلاً لما يملكه .. فذلك لا .

الحق سبحانه وتعالى حين قال .. ﴿ وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ﴾ .. فى ذلك جعل المال لليتيم ، ولم يجعل للولاية فى القيم عليه أن يتصرف فى هذا المال إلا تصرف لصيانته .

---

(١) الآيــة ٢ : سورة النساء

(٢) من الآيـة ٦ : سورة النساء

أمر الوصاية على اليتيم

الحق سبحانه وتعالى يشرح الأمر فى قوله .. ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[1] .. أى اختبروا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح .. لماذا ؟ .. لأن هناك بعضًا من الناس يريدون أن يطلبوا أمر الوصاية على اليتيم حتى ينتفعوا من استخدام هذا المال ، ولذلك فالحق سبحانه وتعالى يعلمنا أن ندرب اليتامى على إدارة المال من قبل سن الرشد ، والقيم على مال اليتيم مطالب أن يجرى لليتيم بعض الإختبارات التى تؤهله لحسن التصرف .. وذلك قول الحق سبحانه فى اختبروهم هل يستطيعون أن يقوموا بمصالحهم وحدهم ؟ .. فإن استطاعوا فاطمئنوا إلى أنه ساعة أن يصلوا إلى حد الحلم ، فعليكم أن تعطوهم أموالهم – بعد تجربة منكم – لأن اليتيم إنما هو فى مرحلة قصور عمرى ، أما السفيه فموقفه مختلف لأن قصوره هو قصور عقلى .

الله سبحانه وتعالى تكلم فى هذه المسألة قال .. ﴿ وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَآءَ أَمْوَالَكُمُ ﴾[2] .. فهل هذه الأموال أموالكم ؟.. لا ، ولكن حين يكون سفيهًا فاعلم أنه لا ملكية له ، والملكية انتقلت إلى من يتصرف فى المال تصرفًا حكيمًا، فاحرص على أن تأخذ مال السفيه لأنه لا حق له فى التصرف .. إنه مال صار فى إدارتك فاحرص عليه كأنه مالك .

ولكن عندما يخرج السفيه من دائرة السفه .. ﴿ فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾[3].. الله سبحانه يريد أن يضمن المسألة من التبديد للوصى فيقول للوصى : احرص على المال كأنه مالك ، لأن السفيه قد تنتقل منه مسئولية الولاية إلى القيم ، ويصبح المال ملكًا للسفيه ، ولكن هو ملك للقيم فى فترة سفاهة الإنسان ، ويعود المال إلى الإنسان إذا ما ذهبت عنه السفاهة . والحق سبحانه وتعالى يعلم القائمين على أمر اليتامى الذين لا يحسنون إدارة أموالهم كيفية التعامل مع مال اليتيم

---

(١) من الآية ٦ : سورة النساء

(٢) من الآية ٥ : سورة النساء

(٣) من الآية ٦ : سورة النساء

فيقول .. ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ .. ولم يقل : ارزقوهم منها ، لماذا ؟ .. لأننا لو رزقنا اليتامى من المال لنقص المال ، ولكن سبحانه قال اجعلوا الرزق مما يخرج من استثمارها ، وإلا فما قيمة ولايتكم على مال اليتامى ؟ .. وما قيمة وصايتكم على مال اليتامى ؟

قيمة الولاية والوصاية على مال اليتامى تتركز فى أن تستثمروا المال .. ﴿ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا ﴾ .. ذلك ليتم الصرف من الرزق الناتج عن استثمار هذا المال .

القواعد

الله سبحانه وتعالى يضع القواعد الواضحة فى تنظيم التعامل فى مال اليتيم ؛ مفاداة كبيرة أكل مال اليتيم إذ يقول الحق سبحانه .. ﴿ وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾(1) .. قد يسأل سائل : ما الخبيث ؟ .. إنه الحرام ، وما الطيب ؟ .. إنه الحلال .. أقول ذلك على سبيل المثال ، ومثال آخر كأن يكون لليتيم فرس جميل ، وعند الولى فرس عجفاء فيستبدل الفرس بالفرس ، أو جاموسة طيبة بجاموسة مريضة ، أو نخلة طيبة بنخلة لا تثمر .

الحق سبحانه وتعالى يضع القواعد الواضحة

أولا : أن يفرق الولى بين ماله الخاص ومال اليتيم.

ثانيا : أن يدير مال اليتيم بنفس درجة الرعاية والعناية التى يستثمر بها ماله الخاص والحق سبحانه وتعالى يحذر من أكل مال اليتيم لأن ذلك حوبا كبيرًا أى إثمًا كبيرًا وفظيعًا .

ثالثا : الحق سبحانه يأمر فى التعامل مع اليتامى .. ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَ لا تَأْكُلُوهَا

(1) الآيــــة ٢ : سورة النساء

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1].. ذلك أن يبدأ الإنسان الولى فى اختبار اليتيم ، وتدريبه على إدارة امواله قبل سن الرشد ، أى لا يتنظر إلى أن يبلغ الحد الذى يفارق به اليتيم ثم تبتليه بعد ذلك ، فقبل أن يبلغ سن الرشد لابد من تجربته فى مسائل جزئية ، حتى إذا ما جاء سن الرشد يستطيع لحظتها أن يكون اليتيم جاهزًا بالقدرة على إدارة أمواله ، فلا تنتظر تأخير إعطائه الأموال إلى أن تبتليه - تختبره - فى الرشد إن عليك أن تختبره ، وتدربه ، وتمتحنه وهو تحت ولايتك فعندما يأتى أوان بلوغ الرشد يستطيع أن يتسلم منك ماله ، ويديره بنفسه .

رابعـاً : فور بلوغ اليتيم سن الرشد ، على الوصى أن يدفع إلى اليتيم ماله ، ولا يجب أن يأكل الوصى مال اليتيم إسرافًا . إنه ليس ماله فقد قيل لرجل شره : ماذا تريد أيها الشره ؟ .. قال : أريد قصعة من ثريد أضرب فيها بيدى كما يضرب الولى السوء فى مال اليتيم !!

خامسًا : أن تشهد الشهود العدول عند دفع المال إلى اليتيم الذى يبلغ سن الرشد .

الحق سبحانه وتعالى يحذرنا من الإسراف فى مال اليتيم أثناء مرحلة ما قبل الرشد ، وذلك من الخوف أن يكبر اليتيم فليس له عند الولى شىء .. أى أن يسرف الولى فينفق كل مال اليتيم قبل أن يكبر . الحق سبحانه وتعالى حين يشرع ، فهو بجلال كماله يشرع تشريعًا لا يمنع قيام العدالة . لقد كان الحق سبحانه قادرًا أن يقول : لا تعطوا الوصية إلا لإنسان عنده مال لأنه فى غنى عن مال اليتيم ، لكن الحق لا يمنع الفقير النزيه صاحب الخبرة والإيمان من الولاية على مال اليتيم ، لذلك يقول سبحانه .. ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

(١) من الآية ٦ : سورة النساء

بِالْمَعْرُوفِ ﴾ .. فلا يقولن أحد عن آخر : إنه فقير ، فلو وضعنا يده على مال اليتيم فإنه يأكله .. لا . إن هذا القول قول بمقاييس البشر، فلا تمنع فقيرًا مؤمن من أن يكون وليًا لليتيم .. لماذا ؟ .. لأننا نريد من يملك رصيدًا إيمانيًا فإنه يعلو به فوق الطمع فى المال .

الحق سبحانه وتعالى يقول للوصى على مال اليتيم إن عليه مسئولية واضحة، وهى أنه إذا كان غنيًا فليستعفف ، وإن كان فقيرًا فليأكل بالمعروف .. وحدود المعروف هى أن يأخذ أجر مثله فى العمل الذى يقوم به ، وكلمة معروف مقصود بها الأمر المتداول عند الناس . فإذا سألوا عن الولى الفقير .. ماذا يأخذ من الأجر ؟ .. فانه يتم تحديد أجر الولى الفقير بما يماثل عندما يحل فى محل ما، أو أن يأخذ على قدر حاجته .

وعند بلوغ اليتيم سن الرشد .. ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1].. ذلك حماية للولى ، لأن الله سبحانه يعلم خلقه ، وخلقه من الأغيار .

الولى على اليتيم لابد أن يتولى الأمر بحكمة وحرص من أجل ألا يكرها اليتيم ، فلا يجب أن يُرضيه فى كل شىء ، ولكن عليه أن يعطى له بقدر حتى لا يفسده . فإذا ما أعطى الولى اليتيم بقدر ربما كرهه اليتيم ، لماذا ؟ .. لأن اليتيم قد يرغب فى أشياء كمالية لا تصلح له ولا تناسبه فيكره اليتيم الوصى من أجل ذلك . فعندما يكره اليتيم الوصى فعلى الوصى أن يترقب لحظة الرشد ، لأن اليتيم قد يتركز كرهه ضد الوصى فيقول له : لقد أكلت مالى . لذلك الحق سبحانه وتعالى يقول للولى أو الوصى : كما حجبت اليتيم بحسن ولايتك ، أحميك من رشد اليتيم ، لذلك يجب حين تدفع المال إليه ، أن تشهد عليه لأنك لا تملك الأغيار النفسية ، لأنك كنت حازمًا على ماله ، وكنت تضرب على يده إذا انحرف .. فقد يتهمك بما ليس فيك ، لذلك لابد من أن تحضر شهودًا عدولا لحظة تسليمه المال ، شهادة تستبرىء بها من المال .. لأن استبراء الدين موكول إلى الله وكفى به حسيبًا .

(١) من الآية ٦ : سورة النساء.

الإثم من الكبيرة

الحق سبحانه وتعالى يحذر بقوله .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾[1] .. الله سبحانه وتعالى يركز على هذه المسألة ، لأن الله يريد من خلقه أن يستقبلوا قدر الله فى من يحبون، وفى من يحتاجون برضا . فإذا ما كان الطفل صغيرًا ويرى أباه الذى يكد عليه، ويقدم له كل جميل فى الحياة رآه يموت .. فإن كان هذا الصغير قد رأى إنسانًا مات أبوه ، وكفله المجتمع الإيمانى الذى يعيش فيه كفالة عوضته عن أب واحد بآباء متعدين، فإن مات والد الطفل ، فإن الطفل لا يستقبل قدر الله وخطبه بفزع. الذى يجعل الناس تستقبل الخطوب بالفزع والجزع والهلع ، أنهم يخافون على الطفل الذى مات أبوه وصار يتيمًا أن يضيع ، لكن لو أن المجتمع يرعى حق اليتيم ؛ وصار كل مؤمن أبًا لليتيم ، وكل مؤمنة أمًا لليتيم لكان الأمر مختلفًا ، فإذا ما نزل قضاء الله وقدره على أبيه فإنه يستقبل القضاء برضا .

وموقف النهب من مال اليتيم يكون العنصر الأساسى فيه الأكل .. ذلك أن الأكل هو الأمر المتكرر عند الناس ، وهو يختلف عن الملبس ، ولذلك فأى نهب يكون من أجل الأكل . ولذلك فى أمثالنا العامية عن النهاب ما نقول : فلان بطنه واسعة .

الحق سبحانه وتعالى يقول لآكل مال اليتيم أنت تحشو فى بطنك نارًا ، وقد يقول قائل : هل يحشو آكل مال اليتيم فى بطنه ما يؤدى إلى النار .. لا ، إن هذا حدث فله عقاب فى الدنيا ، ففى يوم القيامة يرى المؤمنون هؤلاء القوم – الذين أكلوا مال اليتيم – وعليهم سيمات أكلة مال اليتيم وهى أن الدخان يخرج من أفواههم .. إياك أن تفهم أن البطون هى التى ستكون ممتلئة بالنار فقط ، بل الظاهر لا يكون نارًا أما العيون ، بل ستكون النار فى البطون ، وسيخرج الدخان من أفواههم ، وسيصلون سعيرًا .

(١) من الآية ١٠ سورة النساء

الكبيرة العاشرة

الــزِّنَــا

الله سبحانه وتعالى يذكر خمسة أشياء هى : الفواحش ، والإثم ، و البغى ، والشرك ، والتقول على الله .. وذلك بقوله .. ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَق وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[1] .. هذا للحصر .. أى ما حرم ربى إلا هذه الأشياء ، فلا تدخلوا أخرى وتجعلوها حرامًا قبل أن تحرموا زينة الله .

والمحرمات الخمس التى ذكرها الله أولها : الفواحش ، والله من أجل أن يكون الإنسان خليفة الله فى الأرض لا بد لحياته من أشياء ضرورية ليؤدى الإنسان مهمته ، فأول شىء هو طهارة الأنساب . فطهارة الأنساب يتأكد معها الأب أن هذا ابنه ، فيحرص عليه فيربيه ويرعاه حتى يبلغ أشدة ، فإذا تشكك الإنسان فى ابنه فإنه يهمله ويبعهده عنه .. وهكذا يصبح المجتمع كله جيلاً من الأبناء مرفوضًا، ومن الآباء مهمَلاً . لذلك فإن سلامة المجتمع فى أن يكون كل فرد منسوبًا إلى أبيه أو عائلته التى توفر له الحياة ، أما إذا دخل للآباء الشك، فإن الأولا يصبحون مشردين مع وجود آبائهم ، فلا يبالى أى إنسان بابنه . إذًا .. فطهارة الأنساب هى الضمان الوحيد لسلامة المجتمع .

الفاحشة هى التى تزيد القبيح قبحاً ، وقد أتفق العلماء على أنها الزنى ، لأن الذنوب لا تتعدى وقتها ، بينما الزنى يمتد إلى أجيال وينشىء جبلاً من الحاقدين . الله سبحانه وتعالى يكره المجاهرة بالإثم وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ.

---

(١) من الآية ٣٣ : سورة الأعراف

«كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول : عملت البارحة كذا وقد بات بستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه»[1]

الجهر بالإثم هو المجاهرة به ، والإنسان يرتكب الإثم فيستره الله ، فيقوم فى الصباح فيفضح نفسه ، ويجاهر به بين الناس ، فكأنما ذلك مباهاة فى المعصية وزيادة فى الإثم . الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعرف أن عدم المجاهرة لا يعفى الزانى من العقوبة ، ذلك أن الله يعاقب الناس على الظاهر والخفى من الأعمال فكلاهما له عقوبته ، لكن المجاهر بالفاحشة عقوبته أشد .

الزنا عدوان على المجتمع

حين يعتدى إنسان على بكر .. فما دائرة الهجوم على العرض فى البكر ؟.. إنها أضيق من دائرة الهجوم على الثيب[2] ، فقصارى الإعتداء على البكر يكون فى عرضها وعرض الأب والأخ . أما الثيب فالإعتداء يكون على عرض الزوج أيضًا ، وهكذا تكون دائرة الاعتداء أكبر .. إنه إعتداء على عرض : الأب والأم والإخوة والزوج والأبناء المتسلسلين ، فإذا كان الآباء والأمهات طبقة تنتهى فماذا على الأبناء ؟

الأبناء طبقة تستديم ، لذلك فاستدامة العار لا يجب أن يكون مساويًا لرفعه إلى الذى ليس فيه هذا الإتساع . فإذا ما ساوينا بين الأثنين بالجلد للمعتدى ، فهذا يعنى أن القائم بالحكم لم يلحظ اتساع جرح العرض . إن اتساع جرح العرض فى البنت البكر محصور ، وقد ينتهى لأن معاصريه الأب والأم والأخوة . لكن ما رأيك أيها القائم بالحكم فى الثيّب المتزوجة ولها أولاد يتناسلون ؟ .. فهل يسوى الله وهو العادل بين ثيب وبكر فى الذنب فقط ؟! .. ذلك لا يمكن أن يكون .

(١) أخرجه البخارى ومسلم عن أبى هريرة بسند صحيح ، الطبرانى فى الأوسط عن أبى قتادة

(٢) الثيب : بالمتزوجة ولها أولاد

إذًا .. فالمسألة يجب أن تؤخذ مما وصفه رسول الله ﷺ وهو المشرع الثانى الذى امتاز لا بالفهم من النص فقط ، ولكن له حق التشريع فيمـا لم يرد فيه نص .. لقد شرع رسول الله الرجم ، وانتهى إلى أن هذا الحكم أصبح نهائيا .. الثيب بالثيب ، والبكر بالبكر .. فالثيب لها الرجم ، والبكر لها الجلد ، ولكل موقف حكمه ، ولكل حكم تمام الانضباط ، ولذلك فالعقوبة إنما تضمن طهارة وحفظ النوع ، لأن حفظ النوع هو أمر أساسى فى الحياة وذلك باستبقاء حياة الفرد واستبقاء نوعه وذلك على طهارة من المخالطة .

إمتداد آثار الزنـــا

الفاحشة مأخوذة من التفحش أى الزيادة في القبح ، وقد صرفها بعض العلماء إلى الزنا .. لماذا ؟ .. لأن كل معصية تنتهى آثارها بمجرد فعلها ، فإذا شربت الخمر انتهى أثرها عندما تفيق ، وإذا سرقت مالاً انتهى الأمر بمجرد حدوث السرقة، ولكن الزنا، فإما تجهض المرأة نفسها فبذلك تزهق روحاً .. وإما أن تلقى بوليدها أمام مسجد ، أو فى مكان بعيد ، فيعيش طريدًا شقيًا فى المجتمع فلا يجد من يحميه وينفق عليه ويعده للحياة قبل أن يقدر عليها .

أما عندما يثور الشك العميق فى نفوس الرجال فيما إذا كان هؤلاء أولادهم أم لا .. فيصبح الشقاء ممتدًا إلى الأسرة والأولاد ، ولذلك فإن الذين قالوا : إن الفاحشة هى الزنا استندوا إلى قول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[1] .. ولكن الأقرب إلى الحقيقة أن الفاحشة هى كبيرة من الكبائر ، ذلك لأن كل كبيرة هى زيادة فى القبح على أى لون من الألوان .

إن عدل الرحمن سبحانه وتعالى هو الذى فرض علينا أن نتعامل مع الجريمة بالعقاب عليها ، وأن يشاهد هذا العقاب آخرون ليرتدعوا ، ففى جريمة الزنا ضرورة أن يشاهد العقاب طائفة من الناس ليرتدعوا . والتشديد فى التحرى الدة

(١) من الآية ٣٢ : سورة الأسراء

لمسألة حدوث الزنا لأن فى ذلك قذفًا للناس بما يسبب ارتباكًا وشكًا فى الأنساب ، والتشديد أيضًا فى العقوبة إذ يقول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾(1) ..

الذى يجترىء على حقوق الناس يجترىء أيضًا على حدود الله ، لذلك فمقتضى إيثار الإيمان هو رضا الله لا إرضاء الناس ، وفى إنزال العقاب بالمعتدى خضوع لمنهج الله ، وفى رؤية هذا العقاب من قبل آخرين هو نشر لفكرة أن المعتدى ينال عقابًا ، ولذلك شرع الحق العقاب والعلانية فيه وذلك ليستقر التوازن فى النفس البشرية .

الزانيه لا تلقى بوليدها عند خمارة أو دار سينما ، ولكنها دائمًا تضعه عند أبواب المساجد ليلتقطه إنسان طيب، ويأخذه ويصير مأمونا عليه . إن الحنان الطبيعى يدفعها إلى أن تخاف على وليدها فتلفه وتضعه فى أحلى ثياب ، وإن كانت غنية فإنها تضع منه بعضًا من المال . والحياء من الذنب هو الذى جعلها تتخلص من الطفل .. هكذا نرى الفاسق المنحرف عن دين الله يحتمى فى دين الله .

العقاب على الكبيرة

فى العقوبة الرادعه لكبيرة الزنا يقول الحق سبحانه .. ﴿ الَّلاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾(2) .. ذلك طلب الشهادة من أربعة من المسلمين ، لأن المسلم يعرف قيمة العرض والعدالة فإن شهدوا يحدث حكم الله بالحبس فى البيوت .

نحن نعرف – فى العصر الحديث – ما يسمى بالحجر الصحى الذى نضع

(1) الآية 2 : سورة النور
(2) الآية 15 : سورة النساء

فيه أصحاب المرض المعدى .. هناك فرق بين مرضٍ معدٍ ، وبين العطب والفضيحة. إننا نعزل أصحاب المرض المعدى .. فكيف لا نعزل اللاتى أصبن بالعطب والفضيحة ؟ .. تظل كل منهن فى العزل إلى أن يأتى لكل منهن ملك الموت .

وحدثتنا كتب التشريع أن رسول الله ﷺ قال .. « خذوا عنى ، خذوا عنى، قد جعل الله لهن سبيلاً ، البكر بالبكر جلد مائة ونفى سنة ، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم »[1] ثم جاء التشريع بعد ذلك فصفى قضية الحدود إلى أن ..البكر بالبكر جلد ، الثيب بالثيب رجم . وجاء بعض الناس يقول : إن الرجم لم يرد بالقرآن ، ونرد على هذا القائل : من قال إن التشريع جاء فقط فى القرآن ، إن القرآن جاء معجزة ومنهجًا للأصول ، لكن .. « ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .. وحين يوجد نص ملزم بحكم فقد نفهم الحكم من النص أو لا نفهم ، فإذا فهمنا فهذا تطبيق عملى .

الرسول ﷺ لم يأتِ بالنَّص فقط ، ولكن رجم ماعزا والغامدية ، فهنا نجد الأسوة فى إقامة الحد . إن النص قد يوجد ولا يطبق . لقد رجم الرسول ﷺ ماعزا والغامدية ، ورجم اليهودى واليهودية عندما جاءا يطلبان حكم الرجم الوارد فى التوارة . لقد فعل الرسول ذلك ، والفعل فى قوة النص ومستواه ، خصوصا إذا كان الفاعل مشرعا !!

لقد قال قائل : إن الجلد الوارد بنص القرآن هو لمن لم يتزوجوا ، فماذ نفعل برجل متزوج قد زنى بفتاة بكر ؟ .. الحكم هنا أن الرجل يرجم ، والبنت تجلد وكذلك العكس .

الله سبحانه وتعالى تكلم عن الجلد فى الإماء فقال .. ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾[2] .. ويفهم من ذلك الجلد فقط ، لأن الرجم لا يمكن قسمته إلى نصفين . الأمة تأخذ فى الحد نصف الحرة .. فالحرة البكر فى الزنا عليها مائة جلدة ، والأمة خمسين جلدة . ومادام للأمةُ نصف حد

(١) أخرجه مسلم عن عبادة بن الصامت .

(٢) الآية ٢٥ : سورة النساء

المحصنة فلا يأتى حد إلا فيما ينصف ، والشبهة قوية ، والدليل صفى نهائيًا من فعل رسول الله وهو مُشرِّع وليس مُستَنْبِطًا وقد رجم رسول الله ، ولنبحث لماذا تأخذ الأمة نصف الحرة ؟ .. الإماء مهدورات الكرامة ، أما الحرائر فلا ، ولذلك فهند امرأة أبى سفيان قالت : أى أن الزنا ليس من شيمة الحرائر ، أما الأمة فمهدرة الكرامة لأنه مجترأ عليها ، ذلك لأنها ليست عِرْضًا لأحد ، فقد يعتدى عليها أحد رغم إرادتها ؛ لذلك فعليها نصف العقاب للمحصنات .

البعض حاول أن يجد حلاً لمسألة الرجم .. إن الرجم ليس له منتصف ، هنا نقول افطنوا ياقوم .. ما هو العذاب أولاً ؟ .. إن العذاب هو إيلام حى ، والرجم هو فقد للحياه فلا إيلام معه . إذًا .. العذاب هو الإيلام الحى فلا يكون الرجم عذابًا ، لأنه ينهى الحياة التى تتألم ، ذلك أن العذاب شىء ، والقتل وهو إزهاق الحياة شىء آخر .

سيدنا سليمان عليه السلام فى عقاب الهدهد قال .. ﴿لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَو لأَذْبَحَنَّهُ ﴾(1) .. ذلك يوضح أن العذاب غير الذبح ، وكذلك يكون العذاب غير الرجم . فالذى يحتج به هم بعض ممن يريدون إحداث ضجة بأنه لا يوجد رجم ، نقول له : إن ما تستشهد به باطل لأن الله فرق بين العذاب وبين الذبح .. ﴿ لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا أو لأَذْبَحَنَّهُ ﴾ .. فإذا كان العذاب هو غير إزهاق بالذبح ، فإن العذاب أيضًا غير إزهاق الروح بالرجم . إذًا .. فلا يجب أن يحاول أحد الإفلات من النص وفهمه على غير حقيقته .

اللواط

الله سبحانه وتعالى أرسل نوحًا إلى قومه ، وأرسل إلى عاد أخاهم هودًا ، وإلى ثمود أخاهم صالحًا ، وأرسل لوطًا إلى قومه .. ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَاسَبَقَكُم بِهَا مِّنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ..(2) ومادام لوط قد قال لقومه ، فإنه أرسل لقومه قبل حدوث هذا القول . إذ كيف يرسله فى وقت أن

(1) من الآية ٢١ : سورة النمل
(2) الآية ٨٠ : سورة الأعراف

قال ؟ .. الحق سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا أنه بمجرد أن يقال للرسول بَلِّغ.. فيقوم بالبلاغ فكأن الرسالة جاءت ساعة التبليغ لا فاصل بينهما .

لوط وإبراهيم كانا فى مدينة بعيدة ثم جاءا إلى سدوم فرارًا من الاضطهاد هو وإبراهيم طارئًا على قومه .. إنه عاش معهم فترة وعرفوا أخلاقه وصفاته وأَنِسُوا به لفترة من الزمن جعلهم يعرفونه معرفة بعضهم للبعض . ماذا قال لوط لقومه؟.. لم يقل إن ربى نهاكم عن العملية القذرة التى تقومون بها ، ولكن أدب النبوة جعله يقولها بأسلوب الاستفهام ، لكنه استفهام تقريع واستفهام استنكار ، وكأن هذا الاستنكار فطرى ، فهو يقول لهم : إننى واثق فى كلامكم ، هل سبقكم أحد إلى هذه الفاحشة التى تمارسونها ؟ .. وهكذا يحمل السؤال استنكارًا لهذه العملية القذرة . فبالرغم من أنها عملية قذرة ، والفطرة السليمة تأباها ، فإنها كانت موجودة فى هذا المجتمع بقصد الشهوة والشذوذ عن الطبيعة .

فاحشة مركبة

الفاحشة هى التزيد فى القُبح أى أن الشىء ليس قبيحًا فقط بل زيادة فى القبح ، ولكن الذى أتى أنثى معدة لهذه العملية ، ولكنها لا تحل له بالزواج مثلاً تكون فاحشة ، وله أن يتزوجها بعد ذلك وتصبح حلالاً . أما إتيان الرجل للرجل فذلك فاحشة بمعنى مركب ، لأنه ليس مخلوقًا لهذه العملية ، ولا يمكن أن يصير حَلاَلاً أبدًا .. فهو فُحْشٌ مركب .

الحق سبحانه وتعالى سماها فاحشة لأنها تزيد فى القبح ، ثم أكد لنا أنه لم يسبق قوم لوط من أحد ، أى أنها بدأت بينهم وهذا استنكار فظيع ، ولنبحث المسألة عقليًا . الإنسان خليفة الله فى الأرض ، ولكى يبقى هذا الخليفة لابد من بقاء النوع وخصوصًا أن الأعمار محدودة ، وبقاء النوع مضمون بالزواج ، فهو الوسيلة للإبقاء ، والله سبحانه وتعالى ضمن للإنسان القوت الذى يبقيه خليفة الله فى الأرض وهو الإنسان ، يريد إنجابًا ، ويريد قوتًا ، ولذلك خلق الذكر والأنثى.

الله سبحانه وتعالى حين تحدث عن الفاحشة لم يفصلها لنا إذ قال

.. ﴿ مَا سَبَقَكُم بِهَا مَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾[1] .. فهل هى أمر معلوم بالفطرة، ولكن بعض الناس قد يتغابى ويريد أن يفهم ، ولذلك فسرها الله القائل .. ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾[2].. فما هو الإسراف ؟ .. الإسراف هو التجاوز عن الحد . والله وضع لنا مصرفًا للشهوة وهو المرأة ، وجعلها وعاء للإنجاب .. فهى تعطينا الشهوة ، وتعطينا الإنجاب .

ولكن إذا كانت هذه الشهوة مع الرجال فهى تجاوز لأنها بُعْد عما شرَّع الله ، وانقياد لشهوة الإنسان فى غير ما أحلَّ الله . اللواط فاحشة مع الرجال ، فالزواج شريعة الله ، والفاحشة مع الرجال إثم عظيم .



(١) الآية ٨٠ : سورة الأعراف

(٢) الآية ٨١ · سورة الأعراف

الكبيرة الحادية عشرة

كتم الشهادة

في كبيرة كتم الشهادة يؤكد الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنَ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (1) .. الشهادة تعنى الشيء الذى شهدته ، فما دمت قد شهدت شيئًا فهو واقع ، والواقع لا يتغير أبدًا . ولذلك فالإنسان الذى يحكى لك حكاية صدق ، فإنه لا يختلف قوله عن هذه الحكاية حتى إن رواها ألف مرة .. إنه سيرويها كل مرة بحذافيرها ولا تغيير ، لأنه يستوحى واقعًا . لكن الذى يحكى حكاية كاذبة فصاحبها كاذب ، ويستوحى غير الواقع ، فيقول كلمة وينسى أنه كذب من قبل ، فيكذب كذبة أخرى .. لماذا ؟ .. لأنه لا يستوحى واقعًا ، وهكذا نفهم أن الشهادة هى أمر مشهود لواقع .. ومادام الأمر مشهودًا وواقعًا فإنه يلح على نفس من يراه أن يخرجه صحيحًا لذلك فإياك – أيها المؤمن – أن تكبت الشهادة بالكتمان .

«كتم » تعنى أن شيئًا يحاول أن يخرج ، وأنت تحاول كتمانه ، لذلك فإن قوله .. ﴿ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ﴾ .. فإن الطبيعة الإيمانية الفطرية تلح على صاحبها لتنطقه بما كان مشهودًا له لأنه واقع ، لذلك يأتى النهى من الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنَ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ .. إن الإنسان قد يسأل: هل الكتم صفة للقلب ، أم أن الإنسان لم يقل الشهادة ؟ .. والشاعر يقول

إنَّ الكلامَ لفى الفؤادِ انمـا جُعِلَ اللسَانُ علَى الفُؤادِ دَلِيلاً

الله سبحانه وتعالى ساعة أن يؤكد شيئًا ، فإنه يأتى بالجارحة التى لها علاقة

(1) من الآية ٢٨٣ : سورة البقرة

بهذا الصدد ، واللغة عندما تؤكد شيئًا ، فإنها تذكر الجارحة التى لها علاقة بهذا الأمر ، فأنت تقول : أنا رأيته بعينى ، وسمعته بأذنى ، وأعطيته بيدى ، ومشيت له برجلى .. إن الذكر هنا يكون للجارحة التى لها دخل فى هذه المسألة . وعندما يقول الحق سبحانه .. ﴿ فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ .. فكل الجوارح تخضع للقلب ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ .. أى أن كتمك للحقيقة لن يغير من واقع علم الله شيئًا .

فى متطلبات الشهادة

الشهادة تتطلب أمرين هما :

الأمر الأول : هو حضور الشاهد لحظة وقوع المشهود به .

والأمر الثانى : هو أمانة النقل .

ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى فى بعض الأحكام شهادة الرجل مساوية لشهادة أثنين من النساء ، وقد يقول قائل : وكيف يسوى الإسلام بين شهادة رجل جاهل أو أمى وشهادة امرأتين ، قد تكون كل منهما على درجة عالية من الثقافة والعلم؟.. ونقول لمثل هذا القائل : إن المسألة فى الشهادة ليست عمل عقل ، ولكنها شهود وأمانة نقل . وأمانة النقل لا شأن لها بالثقافة ، وكذلك حضور الحادثة .

إن المرأة دائمًا تحب أن يكون كل أمر من أمورها مبنيًا على الستر وعدم التهجم ، فقد تقع حادثة وتوجد امرأة بجانب هذه الحادثة ، وبطبيعة الحال لن تتجاسر وتسأل لمعرفة كل التفاصيل ، على العكس من الرجل الذى يرى الحادثة فيحاول أن يعرف كل ما جرى .

والحق سبحانه وتعالى حين أراد الشهادة من امرأتين ، لم يطلب ذلك لضعف الثقة فى المرأة أو زيادة الثقة فى الرجل ، وذلك لأن الشهادة ليست ابتكار عقل، ولكنها حضور مشهد وأمانة نقل .

الحق سبحانه وتعالى فى شهادة إثنين من الرجال يطلب أن يؤديا الصلاة ،

وأن يتم حبسهما لفترة ، ثم يتم استدعاؤهما للشهادة ، فإن رد أهل الميت شهادتيهما فى أمر الوصية ، فيتم استدعاء اثنين من أهل الميت لأداء الشهادة فى شأن الوصية ، لماذا ؟ .. ذلك من أجل أن تأتى الشهادة على وجهها الصحيح الذى يظهر كل الحقيقة.

ونحن فى حياتنا اليومية نرى الشاهد يقف أمام هيئة المحكمة ، وتسأله النيابة فيقول ما رأى ، ويسأله محامى الخصم فيقول ما رآى ، ويسأله محامى الدفاع فيقول ما رآى .. الشاهد مادام صادقًا فهو لا يخشى محاورة أى طرف يسأله ، والأطراف التى تسأل الشاهد ، وتطلب منه أن يأتى بالواقعة على أساليب مختلفة، ومادامت الواقعة صادقة فهى تظل كما هى ، مهما تنوعت الأسئلة وتغيرت الأساليب. إن الشاهد الصادق يستوحى واقعًا لا يتغير ، أما الشاهد الكاذب فهو يلف ويدور ويغير أقواله ، ولهذا نرى وكيل النيابة الحاذق يبحث فى ذاكرة الشاهد عن أدق الخفايا .

أمة وسطًا شهداء على الناس

الحق سبحانه وتعالى فى قوله .. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1] .. إن الأمة الوسط هى التى فيها الخير والعدل والحق ، الله سبحانه وتعالى أراد أن يخبر أمة الإسلام أن الناس سيضطربون فى أمور أقضية الحياة اضطرابًا يقضى إلى التناقض والتعارض ، والبشرية ستصير إلى صراع بين طرفين متناقضين ، وسيرجع كل واحد من الطرفين إلى منطق قضية الإيمان الحق الذى جاء به الإسلام .

البشرية بطرفيها المتناقضين ستجد نفسها فى صراع قاتل ، لذلك سوف يتجه كل طرف إلى ما رآه الإسلام ، أى سيكون هذا الإتجاه إلى الإسلام لم يكن إعتناقًا له كدين يتقربون به إلى الله ، فسوف يكون الإسلام نظامًا يستقبلون به أقضية الحياة . لقد أراد الحق سبحانه استعلاء أمة الإسلام لتصبح هى الأمة التى

(١) من الآية ١٤٣ : سورة البقرة

يطلب العالم كله شهادتها لصالحه ، ولكن يجب أن نلاحظ أن أمة الإسلام ليس لها طلاقة أن تشهد على الناس إلا بعد أن تطبق أمة الإسلام المنهج الذى جاء به الرسول ﷺ .. شهادة الأمة هى شهادة من باطن ما شهد به رسول الله ﷺ ، وما أبلغه الرسول لأمة الإسلام . إن أمة الإسلام ليس لها أن تتخلى عن منهجها أو تفسد فى هذا المنهج ، أو أن تستبدل بالمنهج سلطة زمنية تحرف منهج الله، وذلك كما فعل اليهود من قبل عندما أرادوا السلطة الزمنية وحرفوا منهج الله ، وادعوا أنهم يتكلمون عن الله ، رغم علمهم أنهم يتكلمون عن أهوائهم ومصالحهم الذاتية ، لذلك يُذَكِّرُ الحق أمة الإسلام بأن العلو فى الشهادة على الناس لا يتأتى إلا من خلال اتباع منهج الحق .. ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ .. فى ذلك تنبيهٌ لأمة الإسلام بأن إتباع القرآن وسنة الرسول الشريفة هما الطريق إلى الصراط المستقيم .

المؤمن يجب أن يشهد على نفسه

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَ الأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا وَ إِن تَلْوُا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾(١) .. الله سبحانه ساعة أن ينادى عباده المؤمنين قائلاً .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .. فكأنه يقدم حيثية الحكم الذى يأتى بعده، ولذلك نحن نرى القاضى قبل أن يعلن منطوق الحكم فهو يورد حيثيته فيقول : إن المادة القانونية رقم كذا تنص على كذا ، وحكمنا بكذا. وإذًا .. فالحيثيات تتقدم على الحكم.

حيثيات الحكم الذى يحكم به الله هى الإيمان به ، ومثال ذلك قول الحق سبحانه .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾(٢).. فالحيثية هنا هى إيمان العبد بالله ربًا .. فليسمع العبد من ربه حيث أنه لا يكلف كل الناس بالتكاليف الإيمانية ، ولكنه يكلف المؤمنين فقط .

(١) الآيــة ١٣٥ : سورة النساء

(٢) من الآية ١٨٣ : سورة البقرة

الله سبحانه وتعالى عندما يقول .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾ .. فأن المؤمن إنما يدخل على الإيمان بقمة القسط .. فالقسط هو العدل ، والعدل هو أن يعطى العادل كل ذى حق حقه ، وحق الإله الواحد أن يؤمن به الإنسان ويعترف بأنه إله واحد .. إذًا فقمة القسط هى الإيمان ، ومادام الإنسان المؤمن قد بدأ إيمانه بقمة القسط ، فليجعل القسط سائرًا فى كل تصرفاته، وإياك أيها المؤمن أن تجعل القسط أمرًا أو حدثًا يقع مرة وينتهى وإلا لما قال لك الحق مع إخوانك المؤمنين ..﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بَالقِسْطِ﴾ .. أى أن المطلوب هو الاستمرارية للسلوك العادل ، فنحن نقول : فلان قائم ، وفلان قوام ، أى أن الأمر الالهى يقول لكل مؤمن : لا تجعل القسط بأن تقوم به مرة واحدة ، بل اجعله خصلة لازمة فيك ، ولتفعل القسط فى كل أمور حياتك.

القسط كما ذكرنا فى ظاهر أمره هو العدل ، وقد أحدثت كلمة «القسط» ضجة عند العلماء ، فقسط .. يقسط .. قسوطًا ، أى جار وظلم . فإذا أذهب الإنسان الجور ، يقال : أقسط فلان .. أى أذهب الجور . إذًا القِسط هو العدل الابتدائى ، لكن الاقساط هو عدل أزال جورًا كان قد وقع ، ولنفرض أن هناك أناسًا قد جاءوا لقاضى فحكم بينهم فهذا هو القسط ، وقد يستأنف أحد الطرفين حكم المحكمة الابتدائية ، ووجدت محكمة الاستئناف خطأ فى التطبيق فأصدرت حكمًا بإزالة الجور . وهكذا ينتهى جدل العلماء حول هذه المسألة .. فالقِسط عدل من أول درجة ، والإقْسَاط يعنى أنه كان هناك جور فرفع أى أُزِيل . أيها المؤمن قد فعلت بالعقل فرددت الإيمان إلى الرب فعليك باشاعة كل القسط فى كل سلوكك .

إذًا فلا يكفى أن يكون المؤمن قائمًا بالقسط فقط ، ولكن لابد من أن تكون الشهادة لله .. لماذا ؟ .. هب أن رجلا كافرًا بالله ، ويقيم العدل بين الناس ، لكنه لا يدخل بذلك العدل فى حيثية الإيمان . فالذى يدخل فى حيثية الإيمان يكون قائمًا بالقسط وفى باله الله .. ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ لِلَّهِ ﴾.. أى أن الشهادة ، وإقامة حقوق الله لا لمنفعة ولا لغاية ولا لهوى ولا لغرض ، وإنما ليستقيم كون الله كما أراد الله ، لأنه لو حكم أحد بهوى لفسدت الأرض .

القوام بالقسط يجب أن يفعل ذلك ويقصد الله لينال ثوابه ، والشاهد فى العادة هو من يشهد لمصلحة واحد ضد آخر ، ولكن عندما يقر الشاهد بذنب فهو قد شهد على نفسه ، ويقر بما فعل .. والاقرار سيد الأدلة . إن شهادة الشاهد تقدم للقاضي الدليل الذى يترتب عليه الحكم ، وهكذا يشهد المؤمن على نفسه . وهناك أمر آخر هو أن يشهد على نفسه ولو كانت الشهادة تجر وبالا على نفسه . إذًا .. المؤمن يشهد على نفسه للاقرار ، وقد لا تكون الشهادة على النفس بل قد تكون الشهادة واضحة جلية لا يخاف فيها الشاهد .

لكن ما الذى يعطى الإنسان الحق فى أن يرجح الباطل غير الواقع على حق واقع ؟ .. لابد أن هناك مُرَجِّحًا ، والمُرَجِّحْ هو هوى النفس ، وما منشأ هذا الهوى ؟ .. هو أن يكون المشهود له غنيًا ، فيخاف الإنسان أن يشهد عليه فيمنع عنه خيرًا ما ، ولذلك حدد الحق سبحانه قوامة المؤمنين بالقسط والشهادة لله ولو على النفس أو الأب أو الأم أو الأقارب ، ولا يضع أحد من المؤمنين ثراء أو فقر المشهود له أو عليه فى باله ، بل يجب أن يكون البال مع الله فقط .. ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا ﴾ .. الهوى قد ينحاز إلى الفقير رحمة بالفقير ، فيقول الشاهد لنفسه : إنه فقير ويستحق الرحمة .. وهنا يحذرنا الحق سبحانه من الانحياز إلى الغنى أو الفقير ، لأن العبد المؤمن ليس ربًا حتى يرعى مصالح الناس أكثر من خالقهم ، ولذلك جاء الحق سبحانه بالحيثية الملجمة وهي : إن يكن المشهود عليه غنيًا أو فقيرًا فأنت أيها العبد لم تخلقه ، ولكن الله خالق الإثنين - الغنى والفقير - وهو أَوْلَى بهما ، فليس لك أيها العبد مصلحة فى الثراء أو الفقر لأنك لست القيم على الوجود .

والحق سبحانه وتعالى يقول لنا .. ﴿وَإِن تَلْوُا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ .. «وتلووا» تفهم على معنيين هما ..

- **المعنى الأول** .. أن تقربوا أو تبتعدوا فان الله خبير بكل عمل .

- **المعنى الثاني** .. أن تلووا فى الشهادة ، أى أن يزينها الشاهد بكلمات ملفوفة تحمل أكثر من معنى ، فان الله بما تعمل خبير أيضًا .

ومن يعرض عن أداء الشهادة ، هو خائف من المشهود عليه ، لأن الشهادة ترجح حكم المشهود له ، لذلك يعرض عن الشهادة ، وان جاء للشهادة فهو يلف الكلمات بصور مبهمة ويلوى لسانه فلا يتبين القاضى مضمونها . إذًا .. الذى يفسد العدل هو هوى القلب ، لذلك يحتاج إلى خبرة الخبير اللطيف ، فهذا العمل لا يحتاج إلى صفات السميع أو البصير ، ولكن يحتاج إلى صفة الخبير .



الكبيرة الثانية عشرة

اليمين الغموس

اليمين الغموس[1]. هي التى تغمس صاحبها فى النار .. لأنه أقسم على شىء كان وهو لم يكن ، أو شىء لم يكن وهو قد كان ، وهذا يدخل فى الصدق والكذب . لكن الصدق والكذب حين يتعرض لحقوق .. فهنا الخطأ الجسيم . ولكن قد يكذب الإنسان فى شىء لا يتعرض لحقوق ، لذلك فلا يوجد حد يقام على الكذاب . ولكن عندما يأتى الكاذب ليشهد ، ويحلف اليمن على أن شيئًا لم يحصل وقد حصل .. فما الذى يؤدى إليه ذلك القسم ؟ .. إنه يؤدى إلى ضرر الغير ، وبعد ذلك يَسْهُلْ فى المجتمع أن يظلم الظالم ، ولن يعدم شاهدين من شهود الزور على باب محكمة ، وبذلك لا يطمئن الإنسان إلى حركة حياته ومصالحه .

الصفقة الخاسرة

يقول الحق سبحانه وتعالى .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِى الأَخِرَةِ وَ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2] .. وساعة تأتى كلمتا «شراء وبيع» فان كانت المقايضات أو التبادلات فى رزق نافع فليس هناك واحد من الطرفين المقايضين أولى بأن يكون مشتريًا والآخر بائعًا ، لأن الأثنين اشتريا ، والأثنين باعا .. فان بادل طرف قمح آخر بذرة ، أو بادل قمحًا بتفاح .. فهذه سلعة يتم

(١) اليمين الغموس : هى التى يتعمد الكذب فيها ، وسميت غموسًا لأنها تغمس الحالف فى الإثم فى الدنيا وفى النار فى الآخرة

(٢) الآية ٧٧ : سورة آل عمران

مبادلتها بسلعة آخرى ، وتتم فيها المقايضة ، فليس هناك مشترٍ وبائع ، لأن كُلاً من الطرفين اشترى وباع . لكن متى يصبح الأمر شراء وبيعًا ؟ .. يصبح الأمر شراء وبيعًا عندما تشترى رزقًا مباشرًا برزق غير مباشر ، فهنا يكون الأمر خاضعًا للبيع والشراء . وأنت على سبيل المثال عندما تشترى رغيفًا بقروش ، فهذا شراء وبيع ، لأن القرش رزق غير مباشر النفعية ، والرغيف رزق مباشر النفعية . وعندما يحب الإنسان أن يشترى شيئًا فان الذى يدفعه فى الشراء يسمى ثمنًا . إذًا .. فكيف يشترى الواحد الثمن ؟ .

الحق سبحانه وتعالى يوضح لنا أن الاثمان لا تكون مشتراه أبدًا ، إنما يُشْتَرَىَ بها ، ولذلك تكون أول خيبة فى صفقة الذين يشترون بعهد الله هو .. ثمنًا قليلا، إنهم اشتروا الثمن ، والثمن لا يشترى ، وإنما الذى يشترى هو السلعة ، وياليت الثمن الذى اشتروه ثمن له قيمة .. لكنه ثمن قليل .

ولنا فى هذه الكبيرة ايضاح

بعد أن أوضح لنا الإمام جعفر الصادق الكبيرة الثانية عشرة التى اوردها ضمن الكبائر وهى اليمين الغموس التى جاء حصرها بنص القرآن الكريم حيث ذكر الآية ٧٧ من سورة آل عمران .. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَٰئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ وَ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .. فقد أوضح الإمام محمد متولى الشعراوى بان اليمين الغموس هى التى تغمس صاحبها فى النار ، لأنه أقسم على شىء كان وهو لم يكن، فهذا كذب يتعرض لحقوق البشر فهذا خطأ جسيم، أما أن يكذب الانسان على شىء لا يتعرض لحقوق الناس ، فذلك غير الذى يؤدى اليمين إلى أحداث ضرر بالغير بأن يحلف الإنسان على شىء حدث وهو لم يحدث ، فذلك يسهل أن يظلم إنسانًا من فعل هذا الشاهد الزور ، ولكن ..

أولا : فى قول رسول الله ﷺ .. « من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقطتع بها مال امرىء مسلم لقى الله تعالى وهو عليه غضبان »[1].. وهو بذلك

(١) رواه البخارى ، أبو داود والترمذى وابن ماجه

من الكاذبين .. ﴿ أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الأَخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمَهُمْ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ ﴾ .. أى لا نصيب لهم فى الدارة الآخرة ، ولا يكلمهم الله ، ولا ينظر إليهم برحمة ، ولايزيدهم خيرًا ، ولا يثنى عليهم .

ثانيًا : من حلف متعمدًا الكذب .. يقول فيهم رسول الله ﷺ عن ابى ذر عن النبى قال .. « ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ، ولايزكيهم ، ولهم عذاب أليم » .. فقرأ بها رسول الله ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ .. قال .. «المسبل ، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .. وقال رسول الله ﷺ .. « الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس »(١)..

ثالثًا : عدم الجواز بالحلف بغير الله ، عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال ..«إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن حلف فليحلف بالله أو يصمت »(٢).. وكذلك مثل من يحلف بالاصنام أو بالكعبة ، وقد صدق قول رسول الله ﷺ .. « من حلف بغير الله فقد كفر واشرك »(٣) ..



(١) أخرجه البخارى

(٢) رواه البخارى ومالك ومسلم وابو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة

(٣) رواه الترمذى وحسنه ابن ماجه فى صحيحه والحاكم

الكبيرة الثالثة عشر

الغلـــول[1]

مامعنى يغل ؟ .. الغل هو الأخذ فى الخفاء ، ومأخوذة من «غل الجازر» أى الجزار، وقديمًا كان كل إنسان يجزر لنفسه . فعندما يسلخ الجزار الجلد فإنه يأخذ قليّلا من الشحم مع الجلد ، أو يأخذ قطعة من اللحم ويطويها فى الجلد ويخرج .. هذا هو الأصل فى الغل .. إنها الأخذ فى الخفاء أثناء السلخ، وقد أطلق الحق سبحانه وتعالى هذا المعنى شرعًا على الخيانة فى الغنائم . ففى المعارك قد يجد المقاتل شيئًا ثمينًا فيأخذه لنفسه حتى لا تدخل فى الغنائم .. وهذا هو الغل .

نحن نعرف أن غنائم معركة بدر لم تقسم ، وإن الذى استولى على شىء نتيجة جهده فإنه قد أخذه ، وكان ذلك على مبدأ : من قتل قتيلاً فله سلبه . وقد ظن أحد القاتلين أن المسألة فى الغنائم مثلما كانت فى بدر ، ولا يأخذ الرسول ﷺ شيئًا مثلما حدث فى بدر لأنه لو فعل ذلك لكان «غلا» ، ويوضح الحق سبحانه هذا فى قوله .. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾[2] .. وهذا معناه أن طبع النبى ، وفطرته ، وسجيته لا يتأتى منها هذا ، ولكن من الجائز أن يوجد فى أمته واحد يغل .

إذًا فالفرق بين امتناع المؤمن عن أن يكون غالاً .. أى يخون فى الغنيمة ،

(١) الغلول : هى الخيانة وأكل أموال الناس بالباطل كالإختلاس والسلب والنهب ، وقول رسول الله ﷺ.. « لا يقبل الله صلاة لغير طهور , ولا صدقة من غلول » .. أخرجه مسلم من حديث ابن عمر ، وقوله تعالى : ﴿ أن الله لا يحب الخائنين ﴾ .. آية ٥٨ الأنفال.

(٢) الآية ١٦١ : سورة آل عمران

وبين امتناع الرسول أن يكون غالًا ، إن طبع الرسول ﷺ لايستقيم مع الغل ، ولذلك سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى معركة الفرس حينما جاء جماعة بتاج كسرى ، وكان التاج مزينًا بالنفائس كلها ، فقال : إن قومًا أدوا إلى أميرهم هذا .

الحق سبحانه وتعالى يأتى بالحكم العام فى من يمكن أن يغل فيقول ..﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .. وصورها الرسول ﷺ بأن الذى غل فى شىء فى الدنيا ، يأتى يوم القيامة حاملاً لها وذلك فى حديثه .. « لا ألفين أحدكم يجىء يوم القيامة على رقبته بعير له » .. وفى رواية أخرى .. « يحمله على عنقه أو ببقرة لها خوار ، أو بشاة لها ثغاء »[1] ..

إن من يأخذ حرامًا فى خيفه ، يأتى يوم القيامة وهو يحمل البعير أو البقرة أو الشاه .. إن كل ما أخذه خيفة سيأتى به محمولاً على رقبته وله صوت مميز، وذلك ليلفت أهل المحشر إلى الشىء الحرام ، إذًا .. فمن الممكن فى الدنيا أن يأخذ الإنسان شيئًا خفية ، ويأتى يوم القيامة وهو مفضوح .

رسول الله ﷺ يحذر المؤمنين المسلمين .. صحيح أنه رءوف ورحمة مهداة.. ولكن النبى لا يغنى عن أحد من الله شيئًا ، ولكن هل الغنيمة أثناء الحرب فقط؟.. لا إنها فى الحرب وفى غير الحرب ، ولكنها - الغنيمة - أن حدثت فى الحرب فهى شر كبير وإثم عظيم ، لأنها تحدث فى وقت يكون فيه الإنسان قد دخل الحرب لِيُظْهِر أن كلمة الله هى العُليا فلا يجب أن يجعل من هذا الأمر هزوءة .. فكيف لا تكون كلمة الله هى العُليا عنده ، ولذلك .. ﴿ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ .. وذلك حتى يعرف كل إنسان أن الحق سبحانه يوفى كل نفس ما كسبت سواء فى الغنيمة أثناء الحرب أو فى الحياة العامة .

وكل من يخون أمانة حَمَلَهَا .. فلنتصور من سيأتى يوم القيامة وهو يحمل عمارة بناها من الغل ، وغيره من يحمل أطنانًا من السمك والجبن والحديد والأسمنت الفاسد والمسروق .. فكل من سرق شيئًا سيأتى يوم القيامة وهو يحمله.

(١) ثغاء : صوت الشاه

إذًا .. يجب أن نتبه إلى أن الإنسان إن خدع عيون الأرض فلن يخدع عين السماء ، فكل شيء سيأتي به محمولاً على ظهر من أخذه في الدنيا خفية . فإذا كنا نشهد أن الناس لا تطيق أن تخدع بين الخلق ، فما بالنا بالفضيحة التي ستكون أمام الخلق من أول آدم إلى أن تقوم الساعة .

كل إنسان مطالب أن يحرس نفسه ، لأن الفاضحة ستفضح كل شيء إنه الحق يقول .. ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ .. كل نفس تأخذ ما كسبته بالفعل لذلك فلا ظلم ، لأن الحق سبحانه لو تركها لكان ذلك هو الظلم .

عقاب الخائنين

الحق سبحانه وتعالى فرق بعدالة الحق في خلقه بين الخيانة المقطوع بها ، والخيانة غير المقطوع بها ، فإن الخيانة المقطوع بها لها حكم ، أي الخيانة المظنون لها ، لذلك فالحق سبحانه في قوله .. ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[1] .. إذا بلغك أنهم سيخونونك.. فماذا تفعل ؟ .. مادام هناك عهد والعهد ملك للطرفين ، فإياك أن تأخذهم على غرة بل انبذ إليهم .. النبذ هو الطرح والإبعاد ، أي تلغى العهد الذى بينك وبينهم وتنهيه ، وتبعده بكراهية .. أي ساعة تخاف الخيانة ، ابعدهم ولكن لا تحاربهم قبل أن تعلمهم أنك قد الغيت العهد بسبب كذا وكذا ..

رسول الله ﷺ علم أن قبيلة هزيل التي كانت من حلفائه بعد صلح الحديبية، وكان الصلح يقضى ألا تهاجم قريش حلفاء رسول الله ، وإلاّ يهاجم رسول الله حلفاء قريش . بعض أفراد قريش ذهبوا إلى قبيلة هزيل وضربوهم .. أي أن قريشًا قد خانت العهد .. ماذا فعل الناجون من هزيل ؟ .. ذهبوا يصرخون عند رسول الله في المدينة ، بأن قريشًا أخلفت العهد ، ونقضت ميثاقك . لما حدث هذا لم يبق رسول الله ﷺ المسألة سرًا ، وإنما أبلغ قريشًا بما حدث وطرح العهد

(١) الآية ٥٨ : سورة الأنفال

الذى تم فى صلح الحديبية بينه وبين قريش . وعندما جاء أبو سفيان إلى المدينة ليحاول أن يبرر ما حدث ، رفض رسول الله أن يقابله . إذًا .. فإذا وجدت من القوم الذين عاهدتهم بوادر الخيانة .. فانبذ العهد ، إنما إذا تأكدت أنهم خانوك فعلاً ، وحدثت الخيانة ففاجئهم بالحرب .. تمامًا كما فعل رسول الله مع اليهود بعد أن خانوه فى غزوة الخندق ، ونقضوا العهد .

الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ برىء والمسلمون أبرياء من أن يخونوا حتى مع الذين كفروا وهذه تؤكد أن الإسلام جاء ليعدل الموازين فى الأرض ليس بالنسبة للمؤمنين فقط بل بالنسبة للناس جميعًا ، ولذلك قال الله تعالى .. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ لِتَحكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَرِاكِ اللَّهُ ﴾[1] .. لم يقل لم تحكم بين المؤمنين ولكن قال بين الناس ، حتى لا تكون هناك تفرقة فى العدل بين مؤمن وغير مؤمن ، فغير المؤمن مخلوق لله ، ومستدعي إلى هذا الوجود بأمر الله ، ولذلك لابد أن تراعى العدل معه فى كل الأمور فلا تظلمه بل تعطيه حقه .



(١) الآية ١٠٥ : سورة النساء

الكبيرة الرابعة عشر

شرب الخمر

الله سبحانه وتعالى ذكر لنا خمسة أشياء وهى .. الفواحش ، والإثم ، والبغى، والشرك ، والتقول على الله ، وثانى هذه المحرمات هى الإثم . الإثم هو كل كبيرة أو ما يقام عليه الحد ، وقد أتفق العلماء على أن الإثم هو الخمر والميسر .. ﴿ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(١) .. ولكن لماذا الخمر والميسر ؟

الله كما أراد أن يضمن للإنسان طهارة نسبه ، أراد أيضًا أن يضمن له مقومات تنظيم حركة حياته وهى العقل ، وضمان لسلامة العقل ضرورة لمواجهة كل أمور الحياة . الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِما وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْأَيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢) ..

الخمر مأخوذة من الستر ، ويقال : فلان دخل فى خمرة .. أى أن هذا الشخص دخل فى بعض من الأشجار تخفيه . والخمار هو القناع الذى ترتديه المرأة ، ويقال : فلان دخل فى خمار الناس .. أى اندس بينهم ، ويقال : خامر الأمر .. أى اختلط عليه الأمر فلم يعد قادرًا على التميز .

أما الميسر فمأخوذة من اليسر ، ولماذا ؟ .. لأن الميسر يحقق مكاسب سريعة بلا متاعب ، كانت هذه الأمور من عادات الجاهلية ، والإسلام إنما جاء ليواجه نظم الجاهلية .. واجه مسألة العقيدة بلا هوادة فلم يضعها على مراحل .. إن عقيدة لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله هى البداية التى أنار بها الرسول

(١) من الاية ٢١٩ : سورة البقرة

(٢) من الآية ٢١٩ : سورة البقرة

الكريم الكون كله ، ثم جاءت الأمور التى تحكمها العادة أو تمتلكها العادة ويهونها إِلْفُ الكون كله ، فأخذها الإسلام بشيء من الرفق ، ومن الهوادة ، لحكمة من المشرع الحكيم ، فلماذا لم يأخذ الإسلام أمر تحريم كل السيىء من العادات دفعة واحدة ؟ .. والإجابة هى : أن القسر المفاجىء قد يترتب عليه خلل فى المجتمع .

الحق سبحانه وتعالى قد أخذ مسألة تحريم الخمر بالتدريج ، ذلك لأن الخمر تستر الوعى عن الإنسان ، لأن من يشربها يغيب بها عن وعيه ، وهكذا يأتى الإنسان إلى الميزه التى ميزه بها الله فى الكون ويسترها عنه الله .. فكان السكير إنما يَرُدَّ على الله أكبر نعمة أنعم بها الله عليه ، وتلك قمة الحمق وهى تعليل شارب الخمر بأنه يريد أن ينسى بها هموم الدنيا .

الإسلام قد أمر الإنسان أن يعيش الواقع بهمومه وحسناته ، وأن يستخلص من الحسنات قوة عاقلة يحسم بها الهموم .. الإسلام يطلب من الإنسان إعمال العقل فى مواجهة الهموم ، فليس من اللائق أن يأتى الإنسان لآله مواجهة الهموم ليوقفها عن عملها . والذى يمنع الهموم هو أن يجمع الإنسان فكرة وعقله ليجد السبيل إلى حلها ، وإن كان الأمر بلا حل فمن الحمق أن يفكر الإنسان فيه . إذًا يجب أن يعمل الإنسان على قدر طاقته متعاونًا مع غيره ، فتنمو العلوم وتتطور ليكتشف الإنسان أسرار الله فى كونه .. فالحياة تحتاج إلى عقل الإنسان ، ولاتحتاج إلى أن يستر الإنسان الآله التى وهبها الله للإنسان ليفرج بها همومه من أجب ألا تتضخم المشاكل وتبقى بلا حل .

غيبة العقل وسيلة للافساد

المشاكل فى الحياة منها قسم يجريه الله عليك وليس لك يد فيه .. كأن تمرض ، أو يسقط عليك حجر ، ولله سبحانه وتعالى فيما يوقعه على الإنسان حكمةٌ وإن كنّا لا نعلمها ، ولذلك فأنت محتاج إلى عقل سليم لتواجه هذه المشاكل بِتَقَبُّلٍ إيمانى ، وتتصرف بالأسباب .. فإذا مرضت ذهبت إلى الطبيب ليعالجك وليس ليشفيك ، الطبيب معالج والشافى هو الله . ولكن إذا لم يكن

عقلك سليمًا ، وأنت دائمًا مخمور ، فأنت لن تأخذ بالأسباب ، فلن تذهب للعلاج فيزداد المرض عندك . إذًا .. فأنت بالخمر تريد أن تهرب من الهم ، والهروب من الهم إن لم يضخمه فإنه يبقيه ولايحله ، والله يريد أن تواجه الهم بفكرك ، فإذا كانت المشكلة قدراً اتخذت الأسباب والتجأت إلى الله وإن كانت المشكلة بسببك فإنك تعدل من سلوكك لتزيل هذا الهم.

إذًا فالتفكير فى دفع الضرر وجلب المنفعة هو بالعقل السليم ، والعالم كله يتقدم ، والحضارة الإنسانية تُصْنَع بعقول سليمة وليس بعقول مخمورة ، والمنطق الإيمانى فى استقبال الأحداث لا يتم إلا بعقل متنبه ، وليس بعقل أفسدته الخمر.. لذلك فأنت تريد عقلاً سليمًا فى كل دقيقة من حياتك لأنه هو الذى يدير حركة الحياة .

الحق سبحانه وتعالى في تعداد بعض نعمه على البشر يبن أنه يرزق الخلق فيقول .. ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(١) .. والحق سبحانه يورد لنا أن اتخاذ السكر من النخيل والأعناب هو أمر ليس حَسَنًا ، ولنا أن نتبين أن الحق قد قال أيضًا : إن فى ذلك آيات لقوم قادرين على استخدام العقل . لقد وصف الحق سبحانه الرزق بالحسن ، أما السكر فقد أخرجه الله عن الرزق .. لماذا ؟ .. لأن هناك فرقًا بين إتخاذ العنب والبلح كغذاء ، وبين أن يفسد الإنسان العنب أو البلح فيصنع منه ساترًا للعقل .. كأن العنب والبلح قبل أن يفسدا كانا من الرزق الحسن .. ذلك أول نصح يوضح به الحق سبحانه وتعالى أن الخمر ليس من الأمور التى تليق بالإنسان الذى يعقل الإيمان .

والدرجة الثانية من الإرشاد عن ضرر الخمر .. ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾(٢) .. ذلك أن الحق سبحانه يقرر أن فيهما إثماً ، وأنه قد يستخدم بعضٌ منها فى صناعة أشياء تفيد الناس ، ولكن استخدامها كخمر نوع من الإثم .

(١) الآية ٦٧ : سورة النحل

(٢) من الآية ٢١٩ : سورة البقرة

البعض يظن أن ستر العقل فيه منافع ، ذلك فى أمر الطب لإجراء الجراحة مثلا ، والحمد لله أن توصل العلم إلى وسائل من التخدير ليس لها علاقة بالخمر. والحق سبحانه فى ذكره أن إثم الخمر أكبر من النفع فيه تأريخ عادل ، إنها بهذا القول قد قاربت أن تدخل منطقة التحريم ، ولكنها فى منطقة النصح و الإرشاد .. وكان ذلك الأمر ضروريًا .

الناس التى خرجت من الجاهلية إلى الإسلام كان بعضهم قد أَلِفَ الخمر وارتبط بها ، حتى يكاد الفرد منهم يفقد قدرته وعزمه عندما يأتى ميعاد ذهابه لتناول الخمر ، وبذلك يمنع الحق سبحانه وتعالى الاعتياد .. كيف ؟ .. كان الفرد منهم يصلى ، وهو شارب للخمر فيختلط عليه القول ، فنزل قول الحق سبحانه .. ﴿ يَا أَ يُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارىَ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾[1].. وهذا أمر بضرورة التأدب وحضور العقل عند الوقوف بين يدى الحق الرحمن ، وفى ذلك لمن إعتاد ألا يقرب الخمر من الصبح إلى الظهر ، ومن الظهر إلى العصر ، ومن العصر إلى المغرب ، ومن المغرب إلى العشاء .. ذلك ليتعود الإنسان على الابتعاد عن الخمر نهائيًا .

لكن حدث أنْ شَرِبَ بعضُ المسلمين الخمر بعد صلاة العشاء ، فتضاربوا وتشاحنوا وقرروا الذهاب إلى النبى ﷺ ليسألوه فى أمر الخمر والميسر ، فأوحى الله إليه ما يقطع بتحريمها فى قوله الحكيم .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[2] .. وعندما سمعت الجماعة التى تضاربت فى ذلك القول الحكيم قالوا لرسول الله : إنتهينا .. وسكبت الخمر كلها ..

الحق سبحانه وتعالى أراد أن يحفظ على الإنسان عقله ، لأن العقل هو مناط

(١) من الآية ٤٣ سورة النساء

(٢) الآيتان ٩٠ ، ٩١ سورة المائدة

التكريم للإنسان . وهو المركز الذى يختار طاعة الرحمن باتباع التكليف الإيمانى، وهو مركز الإختيار بين البدائل . لقد جاء الإسلام ليحمى خمسة أشياء وهى :

(١) سلامة النفس

(٢) سلامة العرض

(٣) سلامة المال

(٤) سلامة العقل

(٥) وسلامة ديمومة ذكر الله و اتباع منهجه .

فكل التشريعات تدور حول سلامة هذه الاشياء الخمسة، ولو نظر أى منا إلى سلامة هذه الأشياء لوجدنا أن العقل هو الذى يقود للحفاظ عليها .. سلامة العقل ليفكر فى دينه ويحمى الإنسان نفسه من الغفلة ، وسلامة العقل ليفكر الإنسان فى السعى للحركة فى الحياة ، سلامة العقل هى التى تتيح للإنسان أن يحتاط لسلامة عرضه فلا يطمع فى أعراض الآخرين ، سلامة العقل هى التى تتيح للإنسان حسن التصرف فلا يؤذى غيره . إذاً . فالعقل هو مناط التكاليف الإيمانية كلها ، ولا يريد الله سبحانه وتعالى من الإنسان أن يخمر عقله بأى شيء مَسْكِر.

ذلك إثم الكبيرة

الإنسان الذى لا يشرب الخمر إمتثالا لنهى الله عن ذلك الفعل ، هو إنسان مستقيم السلوك ، طاهر القصد ، ولا يتأتى منه نشاز فى الكون . أما الذى يشرب الخمر فهو معوج السلوك ، غير طاهر القصد ، ويتأتى منه نشاز فى الكون . وقد إنتهت التجربة إلى أن شارب الخمر إنما يصاب بأمراض فى الكبد ، ويعانى من إرتباك فى إدارة حياته وكلماته .

ونحن نرى فى حياتنا اليومية أن الطبيب يأتى لشارب الخمر بصورة ملتقطة للكبد بواسطة الموجات الصوتيه أو الأشعة ، فيجد شارب الخمر أن صورة كبده قد امتلأت بالتهرؤ ، وصارت عرضة لأمراض كثيفة ، وربما تعطلت وظائف الكبد فى بعض الأحيان ، وهنا يأمر الطبيب شارب الخمر أن يمتنع عن شرب الخمر..

فهل الامتناع فى مثل هذه الحالة هو امتناع بسبب الإيمان أم بسبب الأمر الطبى؟ إنه امتناع بسبب الأمر الطبى ويستوى فى ذلك المسلم العاصى والكافر

المؤمن الذى يمتنع عن شرب الخمر ابتداء هو قد امتنع لا لعلة الأمر ولكن لنهى من الله . وهو يتبع نواهى الحق دون سؤال عن العلة والمؤمن حين يأخذ الحكم من الله دون طلب تعليل . تشرق له أسباب المنع فى سلوكه

وحين يقول لنا الله سبحانه إن شرب الخمر رجس . فذلك حكم الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ونحن نتقبل هذا الحكم حتى ولو لم نفهم نحن معنى الرجس . ذلك أنه يكفى أنه حكم من الله الذى يخضع له العبد أن الشيء المحرم هو من الرجس . ذلك أنه يكفى أنه حكم من الله الذى يخضع المؤمن الذى قبل التكليف من ربه ربه مؤتمن على كل مصالحه فمادام الحق سبحانه وتعالى قد قال عن الشيء إنه رجس فهو رجس ولاجدال فى ذلك . وأقول ذلك لأن البعض يظل متصيدًا لأى ثغرة مفتعلة متسائلا كيف يكون ذلك العمل ، أو ذلك الشيء من الرجس ؟ لمثل هذا القائل نقول إننا نخضع لحكم الله سبحانه وتعالى وننفذ ما أمر به . فهو إله مأمون على كل الخلق ، ودائما تثبت لنا الأيام صدق قول الحق سبحانه فى أن الأشياء التى قال عنها أنها رجس هى من الرجس فعلا

الحق سبحانه وتعالى حين يقول لخلقه افعلوا كذا . فنحن لا نسأله ماعلة تلك التكليفات ؟ ولكننا ننفذ أمر الحق . ونكتشف فى أعماقنا فائدة التكليف أما عندما يكلفنا عبدٌ مساوٍ لنا بشيء فلا بد أن نسأل لماذا ؟ إن العبد المساوى لنا عليه أن يقدم لنا العلة لأى فعل يطلب منا القيام به ، ولكننا لا نسأل الله سبحانه عن علة تكليفه لنا . لأننا نؤمن أن الأيام ستثبت لنا أن قول الله سبحانه وتعالى حق وصدق

الميسر

الله سبحانه وتعالى أراد بتحريم الميسر أن يحمى الناس من غفلتها ذلك أن الميسر يبدأ من إثنين يجلسان فى مواجهة بعضهما البعض . وكل منهما حريص

على المكر والخداع ليأخذ ما فى جيب الآخر . فكيف يمكن لأى منهما أن يدعى أنه صديق للآخر ، بينما كل منهما يريد أن يخطف ما ليس له من الآخر، ويريد أن يخدعه ، ولحظة الخداع والسرقة هذه كيف يمكن تسميتها صداقة ؟!

الإنسان إذا كسب فى هذه اللحظة يحس بانتصار على الخصم ، والإنسان إذا خسر فى هذه اللحظة يحس بالهزيمة من الخصم .. قد يُمنى كل منهما نفسه بمزيد من الكسب ، فالكاسب يريد المزيد ، والخاسر يريد التعويض . حين يعتاد الانسان أن يتكسب بدون حركة ، فكل شيء يهون عليه .. كرامته وغير ذلك. وبهذا نجد أن أصحاب الرذائل فى المجتمع هم أهل الميسر ، وهكذا يكون الحسم الإيمانى فى أن الميسر فيه إثم كبير .

والمال يجب ألا يؤخذ إلآ بحق ، وإلا فسدت حركة الحياة ، وحق المال هو العمل .. ولكن أخذ المال بغير حقه يفسد حركة الحياة ، لأنك إذا كنت تستطيع أن تكسب دون أن تعمل فلماذا تعمل ؟ .. فإذا توقف كل منا عن العمل، توقفت حركة الحياة كلها ، ولذلك لابد أن يأتى عن عمل . المال لابد أن ينفق فى أوجه إنفاقه ، ولكن الميسر يأخذ أموال الصغار ، وأموال الطعام والشراب والملبس للأسرة ليضيع هباء . وهكذا تجد كل أسرة يمارس عائلها القمار بلا مال لتواجه به مقومات الحياة ، وهنا إما تنحرف الأسرة ، وإما أن تتشرد ، وإما أن تتجه إلى الحرام فيفسد المجتمع .. إن الميسر يُعَوِّدُ الناس على الكسب بلا عمل فتفسد حركة الحياة ، وتضيع حقوق الإسرة ومقومات حياتها .

حكمة تحريم الميسر

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ قَلْ أَيُّهَا الَّذِينَ أَمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرِ وَالْمِيْسُر وَالأَنْصَابُ وَ الأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ﴾[1].. لنرى دقة الاسم الذى إختاره الله للقمار إنه .. « الميسر » ، ولم يسمه «المعسر».. ذلك أن أحدًا لايقبل على الميسر وهو يظن أن سوف يخسر . إن كل من يلعبون

(١) الآيـة ٩٠ : سورة المائدة

القمار إنما يفعلون ذلك على أمل الكسب ، لذلك جاء بالاسم الذى يعبر عن حالة اللاعب للقمار .. إنه يلعب على وهم الكسب ، وإن كسب فالمكسب يغريه بالمزيد من اللعب ، والخسران يغرى باللعب أكثر لعل هناك كسبًا يعوض الخسارة، وقد يبيع اللاعب للميسر كل ما يملك حتى يعوض خسارته فلا يستطيع .

والذين يلعبون الميسر مع بعضهم البعض لا تربطهم صداقة أو محبة ، فكل منهم حريص على أن يأخذ ما فى جيب الآخر ، وهذا اللون من اللعب يعطل القدرة على الكسب الحلال، ذلك أن الكسب الحلال يحتاج إلى حركة فى الكون ، والميسر يشل حركة الكاسب لأنه يزهد فى العمل ، والخسران يشل حركة الخاسر لأنه مهما سعى فى الأرض فقد لايستطيع أن يسدد ديونه . إذًا .. فالحق سبحانه يريد أن يضمن للناس ألا ينتفع أحد بشيء إلا نتيجة كده وعمله، لأن المجتمعات لا تتحلل إلا عندما يكون أناس دماءهم من عرق غيرهم .. الحق سبحانه يريد أن يكون كل إنسان جسده من عرقه وكذلك أجساد من يعول .

الأنصاب والأزلام

الله سبحانه وتعالى فى أمره بقوله .. ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ .. ذلك فيه التزام بالنهى فى .. ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾[1] .. وذلك أى طلب القسمة وكانت القسمة فى بعض الأحيان عملية محرجه فيريدون إلصاقها بغيرهم ، وهنا يقال : إن الأزلام هى التى أمرتنى ، والأزلام هى قداح من الخشب مكتوب على بعضها.. أمرنى ربى ، ومكتوب على البعض الآخر .. نهانى ربى ، وبعض منها غفل بدون كتابة .

كان المشرك إذا أراد السفر يذهب إلى سادن الكعبة أو الكاهن ، ويخرج السادن أو الكاهن الأزلام من الكيس ويحرك الأقداح ويختار المشرك قدحًا ، فإذا وجد عليه .. أمرنى ربى ، فهو يسافر ، وإن وجد القدح غفلاً فيعيده للكيس، ويعيد الكرة فإن وجد القدح فى المرة الثانية .. نهانى ربى ، فهو لا يسافر ،

(١) من الآية ٣ : سورة المائدة

وإن وجد أمرنى ربى فهو يسافر !! . وهنا نسأل : من هو الرب الذى أمر ؟.. هل هو الرب الأعلى ؟ .. أم الرب الذى كانوا يعبدونه ؟ .. أى إله كانوا يقصدون ؟ .. إن كان المقصود هو الإله الأعلى ، فمن أدراهم أن الله أمر بهذا السفر .. وهذا كذب على الله ، وإن كان الذى أمر هو الرب الذى يعبدونه فذلك أمر باطل من أساسه . إذًا .. واستقسم أى طلب خطه وقسمته بواسطة القداح . وفى مسائل الزواج كان يتم هذا الاستقسام ، فقد كانوا يستقسمون فى الزواج أو عدم الزواج .

وفى الجاهلية كانوا يخضعون لِلَوْنٍ آخر من الاستقسام بالأزلام . لقد كان عندهم عشرة أقداح ، وكان مكتوبًا عليها اسماء وهى ..

الأول : مكتوب عليه الفذ ، وعليه علامة واحد ، أى أن الذى يسحب هذا القدح يأخذ نصيبًا واحدًا .

الثانى : مكتوب عليه التوأم فيأخذ نصيب أثنين .

الثالث : مكتوب عليه الرقيب يأخذ ثلاثة أنصبة .

الرابع : المكتوب عليه الحلس يأخذ نصيب أربعة .

الخامس : مكتوب عليه النافر فيأخذ نصيب خمسة .

السادس : مكتوب عليه المسبل يأخذ ستة أنصبة .

السابع : المكتوب عليه العلى يأخذ سبعة أنصبة.

الثلاثة أقداح الباقية .. مكتوب على كل واحد منها إما : المنيع ، أو السفيح، أو الوغد .

وعندما يقومون بذبح جمل فكانوا يقسمونه إلى ثمانية وعشرين نصيبًا .. لماذا ؟ .. لقد قسموه ثمانية وعشرين نصيبًا بعدد الأنصبة التى ينالها الأشخاص السبعة الأوائل !! .. أما الثلاثة المسمون : المنيع ، والسفيح ، والوغد فهؤلاء يدفعون ثمن الذبيحة !!

أى أن الأزلام بتلك الطريقة المجحفة هى حرام لمادا ؟ لأنه لون من الميسر

وهذا الاستقسام بالأزلام يختلف عن القرعة فالقرعة تكون بين اثنين متساويين، ولا يريد أن يظلم أحدهما الآخر فيخرجان الهوى من الاختيار ، ومثال ذلك أن اثنين من البشر يملكان بيتًا ، وتجرى بين كل منهما العدل فى القسمة ، يلجآن إلى القرعة ، وذلك بأن يكتب كل منهما اسمه فى ورقة واحدة، ثم يضعان الوقيتن فى إناء ضيق ، ويحضر طفل صغير لا يعرف المسألة ويغمض عينيه ويسحب ورقة من الورقتين وبذلك يأخذ كل فرد النصيب الذى حددته القرعة ومثال آخر الرجل المتزوج بأكثر من واحدة ، عليه أن يقرع بين نسائه إن أراد صحبة إحداهن القرعة هنا حتى لا تغضب واحدة من الزوجات، وحتى لايكون الهوى هو الحكم ، إنه بذلك يخرج من دائرة لوم من لا تكسب.

فى تاريخ رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة ، فعندما أراد الرسول ألا يكسر خاطر أى واحد من الأنصار عندما هاجر إلى المدينة ، وتطلع كل واحد من الأنصار إلى أن ينزل رسول الله ﷺ فى بينه ، وأراد رسول الله ﷺ ألا يغضب أحد منهم فقال « دعوها فإنها مأمورة »[1] .. فعندما تميل الناقة ، وتقف عند أى بيت لن يقول أحد : إن النبى آثر فلانًا على فلان .

وكذلك فالاسخارة غير الاستقسام .



(١) رواه ابن اسحاق فى السيرة

الكبيرة الخامسة عشر

ترك الصلاة

ترك الصلاة كبيرة من الكبائر . الصلاة هى إعلان دوام الولاء للإله الواحد. نحن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله مرة واحدة فى العمر . والإنسان منا يؤدى الزكاة إن كان قادرًا مرة واحدة فى العام ، وإن كان فقيرًا فهو لا يزكى . وكذلك الحج إلى بيت الله الحرام مرة واحدة فى العمر إن استطاع إلى ذلك سبيلا . وأيضًا الإنسان منا يصوم شهر رمضان فى كل عام مرة ، وإذا كان مريضًا فلا يصوم .. وهنا نلحظ أن ثلاثة من أركان الإسلام قد تسقط عن الإنسان لظروف خاصة به .

والصلاة هى الركن المتجدد فى الإسلام ، وهى عماد الدين ، فمن أقامه فقد أقام الدين . ترك الصلاة معناه أن تارك الصلاة فى الإسلام قد تمرد على إعلان العبودية والولاء للحق سبحانه وتعالى ، والله قد طلبها من الإنسان فى اليوم خمس مرات ، وحكم صلاة الجماعة فيها فى يوم واحد كل أسبوع .. لماذا ؟.. حتى يرى كل الخلق أنهم عبيد الله ، وينظروا إلى مساواتهم للعبودية لله حيث أن الجميع يسجد له سبحانه وتعالى .

إذًا .. لابد من إعلان الولاء لله بالصلاة ، ويوم أن يترك العبد الصلاة ، فمعنى ذلك أنه قد عدم الولاء ، ومن العجيب أن الصلاة التى فرضها الله سبحانه على العبد هى ذهاب العبد إلى الله خمس مرات فى اليوم بأنه أمر تكليفى ، ومن لا يذهب إلى الصلاة فإنه يأثم ، ولكن ما أغلق الله الباب فأنت تستطيع أن تذهب إلى الصلاة فى أى وقت وستجد الحق فى إستقبالك ، وتستطيع أن تذهب إلى لقاء الله بالصلاة وتجده مرحبًا بك ، وتملك أن تفعل ذلك فى أى مكان .

فى الصلاة احتفاء الرب بالعبد

نحن نعرف أن الإنسان إذا ما أراد أن يقابل سيدًا من سادة الدنيا لابد من التقدم إليه بغرض الزيارة ، وقد يحدد لك الميعاد . وإن حدد لك عظيم الدنيا ميعادًا ، فإنه يطلب منك أولاً تحديد موضوع الكلام .. وبعد أن يلقاك يستطيع أن يقف وينهى المقابلة . لكن الخالق الأعظم سبحانه وتعالى يستطيع العبد أن يلقاه فى أى وقت ، وفى أى زمان ، ولن ينهى الحق مقابلته لك إلا إذا انتهيت أنت وذلك نقول هذه الأبيات من الشعر

حسب نفسى عزًا عبد يحتفى بى بلا مواعيد رب

هو فى قدسه الأعز ولكن أنا ألقى متى وأين أحب

الحق سبحانه وتعالى يفرض خمسة فروض للصلاة لابد أن يذهب فيها العبد إلى لقاء الله سبحانه ، وسيجد الباب مفتوحًا فى أى وقت للقاء الله بالصلاة ، وضربنا قديمًا هذا المثل ولله المثل الأعلى .. هب أن شيئًا مصنوعًا يعرض على صانعه كل يوم خمس مرات .. هل يوجد فيه عطب ؟ .. لا . إذًا أنت بالصلاة تعرض على خالقك وصانعك وهنا كل يوم خمس مرات .. لقد صنعك الحق سبحانه وأنت بشر مادى ، فهو قادر على إصلاحك ، وهو غيب ويصلح ما فيك غيباً

تارك الصلاة كافراً وجحوداً

إذا قرأت القرآن تجد أن الصلاة مقرونة دائمًا بالزكاة لأن الزكاة بالمال ، والصلاة زكاة بالوقت ، والوقت نحن محتاجون له لنعمل حتى نأتي بالمال .

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾[1] ومعنى ذلك أنهم إذا لم يؤدوا الثلاثة معًا لا نخلى سبيلهم ،

(١) من الآية ٥ سورة التوبة

ومادمنا لا نخلي سبيلهم فهم يدخلون تحت العقوبات التي حددها الله سبحانه وهي .. «اقتلوهم » .. أو «خذوهم» .. أو «احصروهم واقعدوا لهم كل مرصد».. وأول هذه العقوبات هي .. القتل وذلك لائمة الكفر ، فإذا آمن كافر وترك الصلاة لا يكون قد تاب وآمن ، وإذا لم يؤدِ الزكاة لا يكون قد تاب وآمن . لذلك فإذا لم يقوموا بالعبادات الثلاثة لانخلي سبيلهم .

لقد أفتى بعض الائمة بأن تارك الصلاة يقتل ، نقول : لا .. تارك الصلاة إما أن يكون قد تركها إنكارًا لها وجحودًا عنها ، وإما أن يكون قد تركها عن كسل ، أو لأنه لا يقدر عليها . فإن كان يتركها عن كسل لأنه لا يقدر على نفسه ، والدنيا تجذبه بمشاغلها فعلينا أن نحاول بالحكمة والموعظة الحسنة أن ننصحه ، ونستحثه حتى يعود إلى الصلاة .

الكسل عن الصلاة
من علامات المنافق

الحق سبحانه وتعالى يقول .. ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(١) .. إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا للصلاة قاموا كسالى ، فكيف يقومون إلى الصلاة كسالى ؟ .. إن الغايات من الأحداث هي التي تضفي على جوارح الإنسان الأقبال على الأحداث ، فإذا كان الحدث الذى يَقْبَلَ حدثًا تحبه ، فأنت تقبل عليه بكل اشتياق ولهفة ، ولذلك يقيسون لهفة اللقاء لأنها هي التي تحدد درجة المحبة .

المنافقون .. ﴿إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةَ قَامُوا كُسَالَى ﴾ .. كأنهم يؤدون الصلاة كأمر يخفون به نفاقهم ويتسترون به عن أعين المسلمين .. إن قيامهم للصلاة لم يكن شوقًا إلى لقاء الله مثلما كان يقول رسول الله ﷺ لبلال رضى الله عنه طالبًا منه أن يؤذن للصلاة .. « أرحنا بها يا بلال » ..

---

(١) الآية ١٤٢ : سورة النساء

المؤمن يرتاح عندما يؤدى الصلاة ، أما المنافق فالصلاة عملية شاقة بالنسبة إليه .. إنه يؤديها ليستتر بها عن أعين المسلمين لذلك يقوم إليها وهو كسلان .. ﴿ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إلا قَلِيلاً ﴾ .. لماذا ؟ .. يقومون إلى الصلاة ماداموا يريدون التكاسل عنها ؟ .. إنهم يقيمون الصلاة ظاهريًا أمام الناس ليخدعوا الناس حتى يراهم المسلمون وهم يصلون ، وهم فى هذه الصلاة التى يراءون بها الناس لا يقومون بما يفترضه الله عليهم ، ومطلوب لتمام الصلاة قولها سرًا مثال ذلك أنهم يقرءون الفاتحة ، وبعض آيات القرآن ، ولكنهم أثناء الركوع لا يسبحون باسم الله العظيم ، وكذلك فى السجود .. أنهم يؤدون الجانب الجهرى من الصلاة ولا يؤدون الجانب الآخر .

فى داخل المنافق تياران متعارضان .. الأول : تيار يظهر به أنه مع المؤمنين، والثانى : تيار مع الكافرين . إن التيار الذى مع المؤمنين يجبر المنافق على أن يقوم إلى الصلاة ، والتيار الذى مع الكافرين يجعله كسولاً عن ذلك . والتيار الذى مع المؤمنين يجعله يذكر الله قليلاً ، والتيار الذى مع الكافرين يجعله لا يذكر الله . الله سبحانه وتعالى يكشفهم بكامل أفعالهم ما ستر منها وما بطن من هذه الأفعال .. ﴿ وَ لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إلاَّ قَلِيلاً ﴾.. انهم يذكرون الله قليلاً لاقناع المسلمين أنهم منهم ، أما عدم ذكر الله فسببه أن باطنهم مع الكافرين .. إنهم يؤدون الجزء الجهرى من الصلاة كالتكبير ولايؤدون الجزء السوى من الصلاة كالتسبيح فى الركوع والسجود . إن المنافق يعلم أن هذا القول السرى لا يفيد فى المراءاة لذلك لا يفعله ، وإذا ما حسبنا كم شيئًا يجهر به الإنسان فى الصلاة، وكم شيئًا يجريه الإنسان سرًا سنجد أن ما يجريه الإنسان سرًا فى الصلاة أكثر من الجهر .. إننا فى الركوع نقول : سبحان ربى العظيم ثلاث مرات ، ونقول سبحان ربى الأعلى فى كل سجود ثلاث مرات ، ولذلك نجد أن المنافق لا يذكر الله إلا جهرًا .. وهو ذكر قليل . إنه لايؤدى المطلوب أن يؤديه بينه وبين نفسه ، والذى يريد أن يسمعه الناس يؤدى بشكل علنى ، ولماذا إذًا يراءون الناس ؟ .. إن الواحد منهم لايفعل فعْلا إلا إذا كان مرئيًا من الغير .. هذا هو معنى المرآة .

الله سبحانه وتعالى يحب من يعمل عمّلا ، إنما يفعله لله الذى لا تخفى عليه خافية . لكن المنافق يؤدى الأعمال الإيمانية لمجرد أن يراه الناس ، والحق سبحانه وتعالى يلفتنا إلى هذه القضية فى حديث قدسي يرويه سيدنا محمد ﷺ « إن كنتم تعتقدون أنى لا أراكم فالخلل فى إيمانكم ، وإن كنتم تعتقدون أنى أراكم فلم جعلتمونى أهون الناظرين إليكم » إن الإنسان يخجل من أن يغش واحدًا مثله من البشر غشًا ظاهريًا ، فما بالنا بالذى يحاول غش الله ، وهو يعلم أن الله يراه فلماذا يجعل هذا العبد ربه أهون الناظرين إليه ؟ .. إن الإنسان إن غش واحدًا ورأى غشه ، فهو قد لا يعاقبه ، فما بالنا بأن يغش واحدٌ الله ؟! لذلك نجد رسول الله ﷺ ينقل حالة المراءى للناس ، فكما حدثنا العباسى عن ابن رياد أن رسول الله ﷺ سئل مرة.

قالوا يارسول الله فيم النجاة غدًا ؟ أى كيف ننجو يارسول الله ؟

فقال الرسول ألا تخادعون الله فيخدعكم ، فإنه من يخادع الله يخدعه، ونفسه يخدع لو شعر »

قالوا يارسول الله وكيف يخادع الإنسان الله ؟

فقال الرسول أن يعمل ما أمره به ويريد غيره فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله.

إن المرائى يُدْعَى يوم القيامة بأربعة أسماء · ياكافر ، يافاجر ، يا غادر ، ويا خائن ثم يقال له حبط عملك ، وبطل أجرك ، ولاخلاق لك اليوم ، إذهب فخذ أجرك ممن عملت له إن المنافق إنما يخادع نفسه .. إنه يصلى لأن الله أمر بالصلاة ، ويزكى لأن الله أمر بالزكاة ، ويحج لأن الله أمر بالحج .. إنه يعمل ما أمره الله به ، ولكنه لا يعمل لله ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى.. ﴿ والَّذين كفرُوا أعْمَالُهمْ كَسرابِ بقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمآنُ مَآء حَتَّى إذَا جَآءَهُ لَمْ يجدْهُ شيْئًا ووجَد اللَّهَ عندَهُ فوَفَّاهُ حسَابَهُ واللَّهُ سريعُ الْحسَابِ ﴾[1] .. وكذلك

(١) الآية ٣٩ سورة النور

قال الله عن اللون الثانى ﴿ كالَّذى ينفِق مالهُ رئاءَ النَّاس ولا يؤمن بالله واليَوم الآخر فمثَلُهُ كمثل صفوانٍ عليْه ترابٌ فأصابهُ وابلٌ فتركهُ صلْدا لاَّ يقدرون على شيءٍ مِّما كسبُوا والله لا يهْدى القَوْم الكافرِين ﴾[1] والصفوان هو الحجر الأملس تمامًا الذى ليس فيه خشونة . لأنه لو أن فى الحجر خشونة . وعليه تراب . وسقط عليه المطر . فإن التراب يتخلل فى الخشونة أما الحجر الأملس ففور نزول المطر يزول ما عليه من التراب وذلك أن المنافق الذى يرائى المؤمنين عليه أن يأخذ أجره ممن عمل له



(1) من الآية ٢٦٤ سورة البقرة

الكبيرة السادسة عشر

نقض العهد وقطع الرحم

الله سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين قائلا .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ .. ، وذلك يدل على أن الإيمان ليس أمرًا عابرًا يمر بالإنسان لفترة من الزمن ، ولكن الإيمان أمر يتجدد بتجدد العقل . والحق سبحانه بخطابه للذين أمنوا إنما يؤكد لنا أنه لايقتحم على أحد حياته ليكلفه ، وأنه - سبحانه كرب للعالمين - خلق الخلق ، وأوجد الوجود وسخره للخلق ، ولم يستخدم الله هذا الحق ليأمر البشر بالإيمان ، بل دعا الناس جميعًا إلى الإيمان ، فمن آمن ينزل إليه التشريف بالتكليف. والله له من صفات تناسب الألوهية من طلاقة القدرة والجاه والحكمة والقهر فلا يطلب ممن لم يؤمن به بالإيمان ، بل يدعو من لم يؤمن إلى الإيمان .. لكنه سبحانه وتعالى لا يكلف إلا من يؤمن به . ومادام المؤمن قد آمن فليسمع مـ الله مايريده ، لأن الإيمان كله من التبعية فى .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُو بِالْعُقُودِ ﴾[1] ..

الوفاء هو الإتمام ، والإتمام إما أن ينطلق إلى الأفراد فلا ينقص فرد ، وإما أن يلتفت إلى الكيفيات فلا تختل الكيفية ..وذلك هو التمام .

الحق سبحاانه وتعالى يريد أن يتيقن الإنسان إلى وجوب تنفيذ كل جزئية فى كتاب التكليف ، فلقد طلب الحق سبحانه : أن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وأن نقيم الصلاة ، وأن نؤتى الزكاة ، وأن نصوم رمضان ، وأن نحج البيت إن أستطعنا إلى ذلك سبيلا .. قد يؤدى شخص كل هذه الأعمال وبذلك يكون قد قام بأداء التكليف ، وآخر يؤدى كل جزئية بتمامها فلا يختص

(١) الآية ١ سورة المائدة

شيئًا منها ويوفيها بلا تدليس .

العقد كما نعرف هو العلاقة الموثقة بين طرفين ، وعلى كل طرف أن يلتزم بما عليه وأن يأخذ ماله .. والعقد هو الربط بشيء لا يُحَلّ من بعد ذلك ، ولذلك تسمى ما يستقر فى مواجيد الناس ونفوسهم .. عقيدة . فالعقيدة هى الأمر المعقود، وليس الأمر الطارىء الذى يأتى فى اليوم وينتهى غدًا .

الشيء المعقود فى نظر الفقه هو الأمر الذى لا يطفو إلى العقل ليبحث من جديد . والحق سبحانه وتعالى يأمرنا بالعقود ، وذلك لأن الإسلام به عقود كثيرة، ولو نظرنا إليها من البداية فإننا نجد العقد الأول هو .. عقد الذرية .. ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾[1]..

الله سبحانه وتعالى يريد الوفاء بهذا العهد الأول ، فلا يأتى إنسان إلى لحظة التطبيق ويفر منها ، ثم يأتى إلى عقد الاستخلاف فى الأرض .. الحق استخلف آدم وذريته من بعده . لذلك إياك أيها الإنسان أن تظن أنك الأصيل فى الكون حين تدوم لك الأسباب وتدين لك .. وإياك أن تعتقد أن الأشياء قد دانت لك بمهارتك أنت فقط ، إنك حين تبذر البذور فى الأرض وتروى الزرع ثم ينبت فإياك أن تقول إنك اعتمدت على مهارتك وحدها ، ولكن الزرع ثم ينبت بتسخير الله سبحانه وتعالى الأرض لك .. ذلك تنبيه لجزئية يجب ألا تغيب عنا .

هناك العهد الذى قال فيه سبحانه وتعالى لآدم .. ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾[2].. و .. ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3] .. هذا عهد الإنسان كله .

نحن نعلم أن المسلمين عاهدوا رسول الله ﷺ فى العقبة بأن ينصروه ويمنعوا عنه ما يمنعون عن أنفسهم ، وكذلك عاهدوا الرسول فى الحديبية .

(١) من الآية ١٧٢ : سورة الأعراف

(٢) من الآية ١٢٣ : سورة طـه

(٣) من الآية ٣٨ : سورة البقرة

إذًا .. فأمر الحق فى الوفاء بالعهود ، هو أمر بالوفاء بكل العهود ، وكل ما تنتج عن قمة العقائد وهو الإيمان بالله .. فما جاء من الله الذى آمنت به يعتبر عقدًا أنت شريك فيه . فالعقد لابد أن يكون بين طرفين لأن الله لم يرغم أحدًا على الإيمان به ، ولكن الإنسان يؤمن بما يأمره الله به . ونحن نجد عندما يقول لنا الحق سبحانه .. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾[1] .. أن الحق سبحانه وتعالى لم يكتب الصيام على كل الخلق ، ولكن كتبه على من آمن من الخلق ، ومن أمن ذهب إلى الحق قائلا : يارب إن ما تأمر به سأفعله .. وهذا اعتراف بالعقد .

إن كتابة أى عقد إيمانى هو تنفيذ هذا العقد بإيمان العبد بالله ، والإيمان هو التوقيع مع الله ، ويكون العبد قد اشترك مع الله بهذا العقد ، وبإيمان العبد بالله يجعله طرفًا فى العقد . إذًا .. العبد المؤمن الذى آمن بالله ، والإله يشرع له ، وذلك يكون العبد طرفًا فى العقد الإيمانى .

والعقد إما أن يكون بين العبد وبين خلق الله المساوين للإنسان أو بين العبد وبين نفسه ، ولكنهم قالوا عن العقد الذى بين الإنسان وبين نفسه ، جعلوا له اسمًا هو .. العهد وهو النذر ، وذلك كأن ينذر العبد الصيام أو الصلاة ، فهذا أمر يجب على العبد تنفيذه إن كان قد عاهد الله به ، ولكن العقد الذى بين العبد وغيره من البشر ، وكذلك العقد بينه وبين نفسه إنما ينبعان من العقد الأساسى وهو .. العقد الإيمانى الأول وهو الإيمان بالله .

إذًا .. نفذوا ما أمر الله به حلالاً ، وامتنعوا عن الشيء الذى جعله الحق حرامًا ، ولاداعى للإختلاف .. هل هذه العقود بين العبد وربه ، أو بين العبد وبين الناس أو بين العبد وبين نفسه .. إن كل ما نبع عن عقد القمة فهو عقد يجب أن يوفى به المؤمن .

ونقض العهد يجعل كل إنسان فى المجتمع متشككًا فى وعد أى شخص آخر وتنتشر عدم الثقة بين الأفراد .

---

(١) من الآية ١٨٣ : سورة البقرة

قطع الرحم

الحق سبحانه وتعالى إشتق للرحم اسمًا من أسمائه فقال في حديثه القدسي « أنا الرحمن وهذه الرحم اشتققت لها اسمًا من أسمائي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته »

نحن نعرف من التاريخ حكاية معاوية بن أبي سفيان عندما دخل عليه الحاجب، وكان معاوية جالسًا على كرسي الحكم ، وقال الحاجب هناك واحد بالباب يقول إنه أخوك .. فسأله معاوية أي إخوتي هو ، ألا تعرف إخوتي ؟ فقال الحاجب هو يقول إنه أخوك فأذن معاوية للرجل فدخل ، وسأله معاوية أأنت أخي !! فقال الرجل : نعم فسأل معاوية أي أخوتي أنت ؟! قال الرجل : أنا أخوك من آدم فقال معاوية ، رحمٌ مقطوعة لأكوننَّ أول من وصلها

مقام الاحسان لذوي القربى

الحق سبحانه وتعالى يريد أن يوزع التكافل بين قطاعات المجتمع توزيعًا يؤدي إلى النهضة بكل قطاعات المجتمع فعندما يعمل الإنسان لينتج عمله ثمارًا تسع الإحسان بالوالدين ، وتسمح بالارتفاع إلى مقام الاحسان في معاملة الأقارب عندما يعمل كل إنسان بهذا الأسلوب فلابد أن يرتقي المجتمع كله ، لأننا سوف نجد دوائر الأقارب تلتقي في مستوى انساني راقٍ لا يسمح بفوارق شاسعة في مستويات الحياة ، ولسوف تتلاحق دوائر القربى ، وتزدهر العلاقات الإنسانية بما ينقي النفوس من جشع الثراء ولو على حساب أقرب الأقربين ، أو جشع تدمير الآخرين ، على سبيل المثال تلك السلسة من العمارات التي أقامها الطمع الجاهل . واستبد بأصحابها الجشع القاتل . فأصاب المجتمع بكوارث ، إن تم علاجها ماديًا ، فلسوف تأخذ وقتاً لعلاج آثارها النفسية ، وذلك لغيبة الإيمان عن قلب من أقامها ، وضياع الضمير في الحرص على سرعة الامتلاك مما أدى بحياة بعض من أصحاب مثل هذه المباني إلى الهلاك .

إن الإحسان فى معاملة ذوى القربى يجعل من المجتمع الإنسانى مجتمعًا متكافلا متآزرًا . فلن نجد فقيرًا يعانى العوز . ولن نجد مسكينًا إلا فى أقل القليل، ولذلك لنا أن نلحظ الحق سبحانه لم يشرع نظام الزواج وعلانيته إلا ليضمن سعادة الأفراد ، ومعرفة الأنساب وضرورة التكافل الإجتماعى يجعل فى الإنسان مسئولية إيمانية برعاية والديه وأقاربه ، إننا لن نجد فى دائرة القربى لرجل استخلفه الله فى مال كثير وهو حسن الإيمان .. لن نجد فى دائرة قرباه من يشكو العوز، لأن الارتفاع إلى مقام الإحسان يتطلب من الغنى أن يرعى حق الله فى ذوى قرباه.



الخاتمة ...

الحق سبحانه وتعالى يقول فى كل تلك الألوان من المحرمات، إن ارتكابها فسق، والفسق هو .. الخروج عن الطاعة ، والمعنى مأخوذ من المحسات ، لأن إلف الإنسان فى أول إدراكاته كان من المحسات .. فهو يرى ويسمع ويشم ، وبعد ذلك تأتى الأمور العقلية .

وكلمة فسق هى خروج الرطبة من قشرتها .. البلحة عندما ترطب ، فان الثمرة تتكمش داخل قشرتها وتخرج من القشرة ، وعندئذ يقال : فسقت الرطبة .. أى خرجت عن قشرتها .

وكذلك من يخرج عن منهج الله يسمونه فاسقاً ، تماماً مثل الرطبة ، وفى ذلك رمزية تدل على أن شرع الله سياج يحيط الإنسان . وإياك أيها المسلم أن تخرج عن شرع الله سبحانه وتعالى ، لأن الرطبة عندما تخرج عن القشرة ، فإن الذباب يحوم حولها ، ويصيبها التراب ، وتعافها النفس .. لقد كان أخذ اللفظ نفسه من أجل المعنى الشرعى ، فيه دقة اختيار .

الدين الإسلامى قد جاء كاطار يحمى الإنسان بالإيمان فاياك أن تخرج عن هذا الاطار ، وإلا تكون كالرطبة التى خرجت عن قشرتها فصارت فاسقة !!

والحمد لله رب العالمين .

المحتويات

هذا الكتاب ..

الكبائر من القرآن الكريم

هو زهرة من بستان الهداية ، والدعوة المباركة إلى الله تعالى ، فقد صيغت مادة كتاب « الكبائر » على نحو يخالف غيره من الكتب التى تحمل هذا العنوان، حيث يظهر المنهج الموضوعى لتبويب المادة الفقهية الغراء على نحو يرتكز على أن هناك فروقا أوضحها الإمام محمد متولى الشعراوى للتعريف الدقيق لكل من .. **الكبيرة والصغيرة والأصغر** ، هذا ما يستوضح حقيقته القارىء لكتاب « الكبائر » التى أحصاها الإمام أبو جعفر الصادق عندما سأله عمرو بن عبيد عن « الكبائر » حيث أنه سأل عالما بكنوز القرآن وأسراره ، فقد أحصاها له أبو جعفر الصادق فى ست عشرة كبيرة كما ورد ذكرها بكتاب الله العزيز الذى هو المرجع والمنهج للمسلمين كافة للاستيضاح والتبيان دون اجتهاد قد يحدث خطأ غير مقصود . كما أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول عن الكبائر إنها :

- **أربع فى .. القلب هى :** الشرك بالله ، والإصرار على معصية الله ، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله .
- **أربع فى .. اللسان هى :** شهادة الزور ، وقذف المحصنات ، واليمين الغموس ، والسحر .
- **وثلاث فى .. البطن هى :** شرب الخمر أو المسكر ، وأكل مال اليتيم ظلماً ، وأكل الربا .
- **وثنتان فى .. اليد هى :** القتل ، والسرقة .
- **وثنتان فى .. الفرج هى :** الزنا ، واللواط .
- **واحدة فى .. الرجلين هى :** الفرار (التولى) يوم الزحف .
- **واحدة فى جميع الجسد هى :** عقوق الوالدين .

الإمام محمد متولى الشعراوى



فى عرض « الكبائر » بهذا الإسلوب ، فيه ما يهتدى به ... استيضاح الحقيقة بين الآراء المختلفة والمتعددة ، قد حسم هذا الخلاف ... جاء فى كتاب الله الكريم عن الكبائر . دعواتنا إلى الله خالصة بخير ... الثواب للإمام الداعية محمد متولى الشعراوى .. آمين يارب العالمين

٥ جنيه